د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سري جداً !!

روايات مصرية للجيب

الڤيروس

152



الفيروس

- عالم من الوهم . غاص فيه (نور) حتى النخاع ..
- مع انطلاقة عقل ، جابت به أرجاء الكون كله ..
- ولغز عجيب ، يشترك فيه كوكبان متماثلان ..
- لغز لا يمكن أن يحله . سوى شخص واحد ..
  (نور) ..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل عالمين .



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

152



المؤسسة العربية الحديثة

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، فى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرية مطلقة ، من أجل حماية التقدم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١- خطأ ..

لم يبدُ رئيس الجمهورية ، فى حياته كلها شديد التوتر ، مثلما بدا فى ذلك اليوم ، وهو يفرك كفيه ، ويتراجع فى مقعده الواسع الكبير ، قائلاً للدكتور (سمير) ، رئيس مركز الأبحاث العلمية الجديد :

- مازلت أشعر أن اتخاذ مثل هذا القرار ، هو أكبر خطأ يمكن أن نتخذه ، فى تاريخنا كله .

انعقد حاجبا الدكتور (سمير) ، وهو يقول فى عصبية :

- ربما ، ولكن عدم اتخاذه قد يكون أكثر فداحة .

نقل القائد الأعلى للمخابرات العلمية نظرة بينهما فى صمت ، وهو يشعر فى أعمق أعماقه بكل توتر الدنيا ، وعقله يشتعل بذكريات بدت له بغيضة كل البغض ..

ذكريات ذلك الصراع العنيف ، مع المسخ ذى المخ المزدوج ، والذى انتهى بمصرعه مرتين ، وسقوط (نور) فى غيبوبة عميقة بلا قرار(*) ..

(*) راجع قصة (آخر العمالقة) .. المغامرة رقم (١٥٠) ..

غيبوبة تحولت فجأة إلى أكبر لغز ، فى تاريخ المخابرات العلمية كلها ..

فعلى الرغم من رقدته بلا وعى ، كما تؤكد كل الدلائل العلمية ، كان عقل (نور) ينطلق على نحو عجيب ..

نحو مدمّر ..

للغاية ..

فمن أعماق تلافيف مخه ، كانت تنطلق إشارات فائقة ..

إشارات تجاوزت حدود أجهزة القياس ..

وحدود العلم ..

والمنطق ..

وحتى حدود القدرة ..

أية قدرة ..

فمع ما سجلته الأجهزة ، من طفراته العقلية المدهشة ، بدأت سلسلة من الحوادث العجيبة المثيرة ..

وشديدة التدمير ..

فى كل مرة ، كانت تحدث سيطرة عقلية غير مفهومة ، على عقل أحد القادة ، فى مواقع عسكرية مختلفة ..

ومع كل طفرة ، كان قائد ما ، يدمر هدفًا ما ..

هدفًا عسكريًا ..

مصريًا ..

والأدهى أن هذه لم تكن الظاهرة العجيبة الوحيدة ..

فـ (س ـ ١٨) ، الذى يحمى سيده (نور) ، منذ سقوطه فى غيبوبته العميقة ، راح يردد فجأة ، وفى مناسبات مختلفة ، العبارة الوحيدة ، التى يحتويها برنامجه شديد التطوير ، بكل لغات الدنيا ..

« (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى » ..

وكان هذا يوحى بأنه يتلقى أمرًا ما ..

أمرًا من سيده (نور) ..

سيده الغارق فى غيبوبة عميقة .

بلا وعى ..

وهنا تشابكت الأمور وتعقدت ، وأصبح من المحتم اتخاذ قرار خطير ..

خطير إلى أقصى حد ..

وبتوصية من الدكتور (سمير) ، مدير مركز الأبحاث الجديد ، كان من الضرورى أن يتم التخلص من سبب ما يحدث ، قبل أن تفقد (مصر) كل نظمها القتالية والدفاعية ..

من (نور) ..

الوحيد الذى عارض هذا الأمر بمنتهى العنف كان (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية ..

كان يرفض بشدة المساس بـ (نور) ..

أيًا كان السبب ..

وبينما بدأت (سلوى) و (نشوى) ، فى كشف حقيقة الإشارات ، التى تسيطر على ما يحدث ، عبر عقل (نور) ، بدأت محاولة للتخلص منه بالفعل ..

محاولة قتل بالسم ..

وتعقدت الأمور أكثر وأكثر (*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (بلا وعى) .. المغامرة رقم (١٠١) ..

« أين (أمجد) ؟! » ..

ألقى رئيس الجمهورية السؤال فجأة ، على نحو انتزع القائد الأعلى من ذكرياته ، فاعتدل ، قائلاً :

ـ لقد انصرف مسرعًا ، و ...

قاطعه الدكتور (سمير) ، وهو يهتف فى توتر :

ـ فعلها .

التفت إليه الرئيس ، مع القائد الأعلى ، فتابع فى غضب :

ـ سيحاول حمايته ، أو تحذير رفاقه .

غمغم الرئيس :

ـ ومن يمكن أن يلومه لهذا ؟

انتفض جسد الدكتور (سمير) ، وهو يهتف :

ـ أنا .

ثم أضاف فى عصبية ، وهو ينتزع جهاز اتصاله الخاص من حزامه :

ـ سأطلب منهم منعه من الـ ...

وهنا جاء دور القائد الأعلى ، ليقاطعه قائلاً فى حزم :

ـ مهلاً .

استدار إليه الدكتور (سمير) بحركة حادة ، فتابع القائد الأعلى فى صرامة :

ـ لماذا تتعامل مع الأمر باعتباره انتقاماً شخصياً ؟

صاح الدكتور (سمير) فى غضب :

ـ إننى أعمل لمصلحة (مصر) .

اعتدل الرئيس على مقعده فى توتر ، ونقل بصره بينهما فى قلق صامت ، والقائد الأعلى يقول :

ـ من أى منظور ؟! إنك تسعى للقضاء على (نور) ، فى عصبية شديدة ، وكأن هذا هو هدفك الرئيسى والوحيد ، من الأمر كله .

بدا الدكتور (سمير) شديد الغضب ، وهو يقول :

ـ القضاء على المقدم (نور) ، هو الوسيلة الوحيدة ، لمنع انهيار النظام الدفاعى الأمنى بأكمله .

هتف القائد الأعلى :

ـ وماذا عن تحجيمه ؟!

سأله الرئيس فى اهتمام :

ـ ماذا تعنى بالمصطلح ؟!

أشار القائد الأعلى بيديه ، قائلاً فى انفعال :

ـ احتواؤه .. إحاطته بما يمنع انطلاق تلك الموجات فوق العقلية من مخه ..

انعقد حاجبا الدكتور (سمير) بشدة ، فى حين تساءل الرئيس ، فى اهتمام أكثر ، ولهفة بلا حدود :

ـ أهذا ممكن ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حماس وانفعال :

ـ أظنه كذلك .

أدار الرئيس عينيه المتسائلتين إلى الدكتور (سمير) ، الذى انعقد حاجباه بدوره ، وبدت علامات التفكير العميق على وجهه ، قبل أن يقول :

- يمكننا المحاولة .

ثم استدرك فى سرعة وصرامة :

- ولكننى لست مسئولاً عما يمكن أن يحدث ، قبل أن تفلح المحاولة .

وهنا ، أجابه الرئيس بمنتهى الحزم :

- فليكن .. قم بمحاولتك ، وسأتحمل شخصياً المسئولية الكاملة .

وتساءل القائد الأعلى فى لهفة :

- سيدى الرئيس .. أيعنى هذا أن ...

قاطعه الرئيس بكل الحزم :

- نعم .. لن تصدر ذلك الأمر البغيض ، بالقضاء على (نور) .

وتنهّد القائد الأعلى فى ارتياح .

ولكن الموقف كله بدا عجيباً ..

فمع ما حدث قبله ، كان الأمر بالفعل محيّراً ..

وإلى أقصى حد ..

* * *

«مهلاً .. هناك خطأ ما .. » .

نطق (نور) العبارة فى توتر ، داخل تلك الحالة العجيبة من الوعى الزائف ، التى يمر بها ، فاعتدل خصمه ، الذى اتخذ الآن شكلاً مغايراً لما قبل ، وهو يسأله ، بذلك الصوت الذى يدوى فى تلافيف مخه :

- أى خطأ .

راح ذهن (نور) يعتصر كل ما مر به من أحداث ، وهو يقول :

- (س - ١٨) .

تردّد فى كيانه صوت خصمه الحذر :

- ماذا عنه ؟!

قال (نور) فى حزم :

- أين اختفى ، عندما وصلت كتيبة الإعدام ؟! لماذا لم يحاول حمايتى منها ، على الرغم من أن هذه هى مهمته الوحيدة ، التى بقى من أجلها ؟

أتاه صوت خصمه ، بعد لحظة من الصمت :

- موجاتنا سيطرت على إشاراته الآلية ، و ...

قاطعه (نور) فى حزم :

- قد يبدو هذا صحيحًا ، لو أنه وقف ساكنًا فحسب ، ولكن الأمر يبدو غير منطقى على الإطلاق ، عندما يتجاهل رفاقى أيضًا وجوده ، ويدخلون فى صراع مع كتيبة الإعدام ، معرضين حياتهم للخطر ، فى الوقت الذى يمكنه هو فيه سحق تلك الكتيبة كلها ، فى لحظة واحدة ، دون أية خسائر .

لم يجب خصمه هذه المرة ، فتابع ، وعقله يصفو رويدًا رويدًا :

- بل إنه حتى لم يظهر فى الأحداث ، وكأنما تلاشى منها فجأة ، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا ...

توقف ليعيد دراسة الأمر ، ولكن صوت خصمه حمل ما أقنعه بصحة منطقه ، عندما تساءل :

- إلا إذا ماذا ؟!

وهنا ، استنفر مخ (نور) كل خلاياه الرمادية ، والبيضاء ، وتلافيفهما ، ليقول بمنتهى الحزم :

- إلا إذا كان كل هذا مجردّ وهم .

مع قوله ، خُيّل إليه أن كيانه كله قد ارتج .. وبعنف ..

« رباه ! » ..

هتفت (نشوى) بالكلمة ، وهى تطالع ذلك المنحنى المخى الفائق ، الذى التقطته أجهزتها ، فالتفتت إليها (سلوى) ، متسائلة :

- ماذا هناك هذه المرة ؟!

فركت (نشوى) عينيها فى إرهاق وتوتر ، وهى تراجع نتائج جهازها للمرة الثانية ، قبل أن تقول :

- هناك أمر عجيب ، بالنسبة لهذه الإشارات .

سألتها (سلوى) فى اهتمام متوتر :

- وما هو ؟!

أشارت (نشوى) إلى شاشة جهازها ، مجيبة :

- إنها تبدو للوهلة الأولى ، وكأنها تنبعث كلها من عقل أبى ، ولكن هناك منحنى دقيقًا ، يبدو بالكاد هنا ، باهتًا للغاية كما ترين ، ولكنه يسير عكس المنحنيات الأخرى كلها .

مالت (سلوى) إلى الأمام ، تتطلّع إلى ذلك المنحنى الباهت ، قبل أن تغمغم فى توتر شديد :

- هذا صحيح .

اتجه نحوهما (أكرم) ، وهو يتساءل فى قلق :

- هل عثرتما على جديد ؟!

أجابته (نشوى) ، وهى تعيد فحص ذلك المنحنى الباهت :

- نعم .. ولكننا لم نفهم ما يعنيه .

أوصلت (سلوى) أجهزتها بجهاز (نشوى) مرة أخرى ، وهى تقول :

- أظن أن هذا دورى .

راحت كلتاهما تدرسان ذلك المنحنى ، فى حين سأل (أكرم) (رمزى) ، فى توتر وعصبية :

- هل يمكنك استيعاب ما يفعلانه ؟!

أجاب (رمزى) فى هدوء :

- لو أمكننى استيعابه ، لما انضمت (سلوى) و (نشوى) إلى الفريق .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يسأل فى عصبية :

- وما المفترض أن يعنيه هذا ؟!

أجابه (رمزى) بنفس الهدوء :

- إنهما خبيرتان .

تطلّع إليه (أكرم) لحظة ، فى عصبية متوترة ، قبل أن يسأل ، فى شىء من الحدة :

- كيف يمكنك أن تظل هادئاً هكذا ، فى مثل هذه الظروف ؟!

صمت (رمزى) بضع لحظات ، ثم أجاب فى خفوت :

- من الخطأ أن تحكم على الأمور بظواهرها يا صديقى .

أومأ (أكرم) برأسه ، مغمغماً :

- أنت على حق .

مع آخر حروف كلماته ، دلف (أمجد صبحى) إلى حجرة المتابعة فجأة ، فهتف (أكرم) بمنتهى الدهشة :

- سيد (أمجد) ؟! ما الذى تفعله هنا فى هذه الساعة المبكرة ؟! ألا ينبغى أن تستريح قليلاً بعد كل ما فقدته مع إصابتك من دماء ؟!

قال أحد الطبيبين فى توتر :

- ناهيك عن إصابة رئته اليمنى ، التى ...

قاطعه (أمجد) ، وهو يسأل فى حزم :

- كم تحتاجون من وقت لإخراج (نور) من هنا ؟!

ارتسم مزيج من الدهشة والقلق على كل الوجوه ، وهتف أحد الطبيبين فى هلع :

- إخراجه من هنا ؟! هذا مستحيل ! إنه يتلقى علاجًا منتظماً ، وخروجه من هنا ، يعرض حياته كلها للخطر .

اندفعت (سلوى) تسأل ، قبل حتى أن يتم الطبيب هتافه :

- ولماذا تخرجه من هنا ؟! ماذا هناك بالضبط ؟!

انعقد حاجبا (أمجد) فى صرامة ، وهو يقول :

- لاشىء حتى الآن ، ولكننى تحسبًا ، أريد نقله إلى مكان ، لايعرفه سوانا .

ضاعفت عبارته من دهشة وتوتر وقلق الجميع ، فيما عدا (أكرم) ، الذى استل مسدسه ، وأشار إلى (س - ١٨) ، قائلاً فى حزم :

- فى وجود (س - ١٨) ، لن تجد مكانًا واحدًا ، أكثر أمنًا وأمانًا من هنا ، ولو حاول مخلوق واحد الاقتراب من (نور) ، فأقسم أن ...

قاطعه (أمجد) فى صرامة :

- وماذا عن النظام العام ؟! ماذا عن الأطباء ، وطاقم التمريض ، وفنيي الأجهزة ؟! ماذا عن دس السم في عقاقيره ، أو نظام تغذيته ، أو دفع قلبه إلى تسارع مميت ، أو إلى توقف صناعي مفاجئ ؟

بهت الكل لكلماته ، وتبادلوا نظرة عصبية ، قبل أن يتساءل (رمزي) في حذر ، حمل قدرًا هائلاً من التوتر :

- هل صدر قرار بتصفية (نور) ؟!

شهقت (سلوى) ، وأطلقت (نشوى) صرخة ذعر ، وانتفض جسد (أكرم) ، وتراجع الطبيبان مذعوران ، فانعقد حاجبا (أمجد) ، وهو يقول في صرامة :

- هل سنضيع الوقت في حديث بلا طائل ، أم نتآزر للقيام بهذا العمل ؟!

مع نهاية كلماته ، صدر أزيز خاص ، من أجهزة الإعاشة ، المتصلة بجسد (نور) ، واعتدل (س - ١٨) في وقفة قوية ، وهو يقول بصوته المعدني الجاف :

- (س - ١٨) في خدمتك يا سيدي .

وبسرعة ، استدار الكل إليه ، و ...

واتسعت عيونهم في دهشة ، مع خفقان قلوبهم العنيف .

فأمامهم مباشرة ، كانت هناك مفاجأة ..

مفاجأة مدهشة .

* * *

٢- الكـــابوس ..

اعتدل القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى حركة حادة ، وهو يهتف فى انفعال جارف :

- استعاد وعيه ؟! حقًا ؟!

أومأ الدكتور (سمير) برأسه فى تحفظ ، قائلاً :

- نعم .. إدارة المستشفى أبلغتنا بالأمر رسميًا ، منذ دقائق قليلة ، وفقًا لما لديها من تعليمات ، وهم يرغبون فى نقله إلى حجرة خاصة .

هبَّ القائد الأعلى من مكانه ، وهو يشير بسبابته ، قائلاً :

- ليس بهذه السرعة .. لابد من اتخاذ بعض الإجراءات أولاً .. هل أبلغت الرئيس ؟!

هزَّ الدكتور (سمير) رأسه نفيًا ، فقال القائد الأعلى بنفس الانفعال :

- فليكن .. سأبلغه فورًا ، و ...

قاطعه الدكتور (سمير) ، فى شىء من العصبية :

- رأيى أن نتريث قليلاً فى هذا الشأن يا سيدى .

تساءل القائد الأعلى فى دهشة :

- ولماذا ؟!

أجابه فى سرعة :

- لأننا نجهل من استعاد وعيه بالضبط .

اعتدل القائد الأعلى ، وتطلع إليه فى توتر شديد ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه فى صرامة :

- أعنى أن ذلك ، الذى استعاد وعيه ، ربما لا يكون (نور) الذى نعرفه ، وإلا ما سعى عقله لتدمير قدراتنا الدفاعية ، على هذا النحو الشرس .. ثم إن الخبراء كلهم أجمعوا من قبل ، على أن استعادته لوعيه ، لو حدثت ، فستتم على نحو تدريجى بطىء ، ولكن تقرير المستشفى يشير إلى أنه قد استعاد كامل وعيه دفعة واحدة ، على نحو

مباغت ، كفيل بإثارة كل شكوك الدنيا ، وهناك ألف احتمال واحتمال ، أن تكون نفس القوة ، التى فعلت بنا كل هذا ، هى التى أيقظته ، وأعادته إلى وعيه ، ليصبح سلاحًا مدمرًا رهيبًا ، ينفجر فى أمننا كله .

كان الاحتمال واردًا بشدة ، حتى إن القلق قد تفجر عارمًا ، فى كيان القائد الأعلى ، الذى توقف ليدير الأمر فى رأسه جيدًا ، قبل أن يقول فى حزم :

- فليكن .. سأبلغ هذا الاحتمال لسيادة الرئيس ، و ...

قاطعه الدكتور (سمير) مرة أخرى فى عصبية :

- عندئذ ستصبح مسئولاً عن كل ما يمكن أن يصيبه ، من جراء هذا .

هتف القائد الأعلى فى غضب :

- ما الذى يدور فى رأسك بالضبط ؟!

مال الدكتور (سمير) نحوه ، قائلاً فى حدة :

- كلنا نعلم ، وفقًا لما أقره الخبراء ، أنه من المستحيل أن تنجح أية سيطرة عقلية ، فى بلوغ القصر الجمهورى ،

بعد تزويده بموانع الموجات فوق العقلية ، لذا فالوسيلة الوحيدة لبلوغ الرئيس ، من هذا الجانب ، هى إخراجه من موقعه ، أو الوصول إليه مباشرة ، تحت سقف واحد .

أجاب القائد الأعلى فى حذر :

- بالضبط .

أومأ الدكتور (سمير) برأسه ، قائلاً :

- وماذا سيفعل الرئيس فى رأيك ، عندما نبلغه بعودة (نور) إلى وعيه ؟!

أجابه القائد الأعلى ، وعقله يدرس الأمر فى سرعة :

- سيسعى لزيارته ، أو يطلب قدومه إليه .

اعتدل الدكتور (سمير) ، وتألقت عيناه ، وهو يقول :

- بالضبط .

وهنا انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

- وكيف يمكننا التيقن من الموقف ؟!

عاد الدكتور (سمير) يميل نحوه ، مجيبًا :

ـ بأن نفحص عقل (نور) مباشرة .

لم يكد القائد الأعلى يسمع الجواب ، حتى قال في حسم :

ـ فلنبدأ التنفيذ فورًا إذن .

اعتدل الدكتور (سمير) مرة أخرى ، وتألقت عيناه بشدة ، وهو يجيب :

ـ كما تأمر أيها القائد .

ومن المؤكد أن ذلك التألق قد امتد إلى أعمق أعماقه ..

لقد كان هذا يتوافق مع ما وضعه من مخططات ..

تمامًا ..

* * *

حملت لهجة (أكرم) كل ما تفجر في كيانه من سعادة ، وهو يربت على كتف (نور) ، قائلاً في حماس :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا صديقي .. ها أنت ذا تهزم قوانين الطبيعة مرة أخرى .

غمغم (نور) ، وهو يبتسم ابتسامة شاحبة :

ـ رويدك يا صديقي .. جسدي لم يستعد قدرته بعد ، على احتمال كفك القوية .

التقى حاجبا (أمجد) ، وهو يتساءل في اهتمام :

ـ كيف تشعر الآن يا (نور) ؟!

ابتسمت (سلوى) في حنان ، قائلة :

ـ لا ريب في أنه يشعر بالضعف ، و ...

قاطعها (أمجد) بنظرة صارمة ، لا تتناسب أبدًا مع الموقف ، وهو يكرّر سؤاله لـ (نور) :

ـ كيف تشعر ؟!

بدا الانتباه واضحًا ، في ملامح (رمزي) و (نشوى) ، و (نور) يجيب :

ـ بحيرة .

ردّدت (سلوى) في دهشة :

ـ حيرة ؟!

في حين سأله (أمجد)، في اهتمام يحمل حزم رجل اعتاد القيادة:

- ولماذا تشعر بالحيرة ؟!

غمغم (أكرم):

- أضف اسمي إلى السؤال نفسه.

أدار (نور) عينيه في وجوههم جميعًا، قبل أن يفرك عينيه، مجيبًا:

- أوراقكم ووثائقكم كلها تقول إنني فقدت الوعي لفترة طويلة، أما عقلي، فيشعر أنني لم أفقد وعيي لحظة واحدة، وإنما ظللت يقظًا طوال الوقت، بل ووثب عقلي إلى منطقة ما، بين الزمان والمكان.

تفجرت حيرة عارمة في وجه (أكرم)، في حين تبادل الآخرون نظرة متوترة، تساءلت بعدها (سلوى):

- ماذا تعني بالضبط يا (نور) ؟!

هز (نور) رأسه، معبرًا عما يعتمل في نفسه من حيرة وتوتر، وهو يجيب في خفوت:

- بوسيلة ما، كنت أشعر بكم، وبكل ما تفعلونه من حولي، وكأنما انفصل عقلي عن جسدي، وراح يحلق فوق رءوسكم، ويرصد كل خطوة تقومون بها.

تبادل الجميع نظرة شديدة التوتر مرة أخرى، فاعتدل (نور)، وتابع:

- أظن الموضوع يحتاج إلى تفاصيل دقيقة.

جذب (أمجد) مقعدًا، وجلس إلى جوار فراش (نور)، وهو يقول في حزم:

- كلنا آذان مصغية.

وهنا التقط (نور) نفسًا عميقًا ..

وبدأ يروي ..

وبكل التفاصيل ..

* * *

«أأنت واثق من أن هذا سيعمل بكفاءة ؟!» ..

ألقى الدكتور (سمير) السؤال، على أحد علماء مركز الأبحاث، وهو يشير إلى جهاز أشبه بالخوذة، فأومأ العالم برأسه إيجابًا، وهو يقول:

- دون أدنى شك يا سيدى .. هذا الجهاز يمكنه فحص موجات المخ، بدقة تبلغ نسبة الخطأ فيها واحد فى كل مائة مليون، وهو يحوى مجسًا فائق الحساسية، لموجات جاما، بالإضافة إلى ذلك الجهاز، الذى ابتكرته (تشوى)، والذى يمكنه التقاط أية تغيرات، فى الموجات فائقة القصر، مهما بلغت دقتها.

أومأ الدكتور (سمير) برأسه متفهمًا، قبل أن يسأل فى اهتمام:

- أهو آمن مع كل هذا ؟!

تردد العالم لحظة، قبل أن يجيب:

- لو تم استخدامه خلال المدى الآمن.

انعقد حاجبا الدكتور (سمير)، وهو يسأل:

- ولماذا يكون هنالك مدى آمن ؟!

تردد العالم مرة أخرى، على نحو أكثر وضوحًا، جعل الدكتور (سمير) يسأله بمنتهى الصرامة:

- أهناك ما لا ينبغى أن أعرفه، فى مكان أحتل أعلى مناصبه ؟!

هز العالم رأسه نفيًا فى سرعة، وهو يقول:

- مطلقًا يا سيدى، ولكن هذا المشروع بدأ منذ فترة قصيرة، وتم تطويره بسرعة اقتضتها الظروف، حتى أنه لم يختبر بعد إلا فى مدى محدود، وهو ما نطلق عليه اسم المدى الآمن، والمحدد بعلامتين حمراوين، فى مؤشره الرقمى.

بدا من الواضح أن هذا قد جذب انتباه الدكتور (سمير) بشدة، وهو يتساءل بكل اهتمامه:

- وماذا لو تم تجاوز المدى الآمن ؟!

جاء الجواب جليًا، مع امتقاع وجه العالم، وهو يجيب:

- الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم، ما الذى يمكن أن يحدث عندئذ.

أخفى الدكتور (سمير) التماعة عينيه في صعوبة ، وهو يتطلع إلى الجهاز في اهتمام بالغ ، قائلاً :

- فليكن .. سأتسلمه منك رسمياً الآن .

وقع الأوراق المطلوبة ، ثم حمل الجهاز إلى حجرة مكتبه ، ولم يكد يدخلها ، حتى أغلق بابها خلفه في إحكام ، ثم جلس خلف مكتبه ، يتطلع إلى الجهاز بضع لحظات في صمت ، قبل أن يضغط أحد أزراره ، ليقفز بقراءات مؤشره الرقمي إلى ما يتجاوز الإشارة الحمراء ..

أو إلى الحد الأقصى ..

تقريباً ..

* * *

اتسعت عينا (نشوى) في توتر ، وهي تحدق في وجه أبيها ، قائلة بصوت مرتجف :

- هذا يفسر تلك الموجة ، التي كانت تأتيك من الفضاء الخارجي .

انتفض جسد (أكرم) مع قولها ، وسحب مسدسه بحركة غريزية ، وهو يهتف :

- من الفضاء ؟! ماذا تعنين ؟!

أشار (أمجد) بسبابته ، قائلاً في حزم :

- ليس هذا هو المهم الآن ، وإنما تورط الدكتور (سمير) ، فيما تخبرونه رؤيا مستقبلية ، هو أمر بالغ الخطورة ، إلى أقصى حد .

سألته (سلوى) متوترة :

- هل تعني أن ...

قاطعها ، مواصلاً :

- لو صحت الرؤيا ، فسيعني هذا أن مدير مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، أعلى جهة أمنية في البلاد ، جاسوس لكوكب آخر .

أطلقت عبارته رجفة في أوصالهم جميعاً ، قبل أن يتابع بكل الصرامة :

- جاسوس يمهد لغزو قادم .

بدت عبارته الأخيرة أشبه بحجر ضخم ، هوى على بركة راكدة ، فصنع فيها دوائر متصلة بلا نهاية ..

وفي نفس اللحظة ، التي اشتعلت فيها مخاوفهم ، برز الدكتور (سمير) في المكان فجأة ، وهو يحمل ذلك الجهاز الشبيه بالخوذة ، ويقول في توتر :

- سيد (أمجد) ؟! ماذا تفعل هنا ؟!

استدارت العيون كلها إليه ، بنظرة عدائية متوترة ، فتراجع قائلاً في عصبية :

- ماذا هناك ؟!

واجهه (أكرم) بعصبية ، وهو يلوّح بمسدسه ، قائلاً :

- من أنت بالضبط ؟!

انتفض جسد الدكتور (سمير) ، وهو يقول في دهشة مذعورة مستنكرة :

- من أنا ؟!

انقضّ عليه (أكرم) ، وجذبه من ياقته في عنف ، صائحاً فيه بغضب :

- نعم .. من أنت ؟! أجب وإلا نسفت رأسك بلا تردد .

اتسعت عينا الدكتور (سمير) عن آخرهما ، وانعقد لسانه ، فلم ينطق بحرف واحد ، في حين تدخّل (أمجد) ، قائلاً في صرامة :

- مهلاً يا (أكرم) .. ليس هكذا تعالج الأمور .

وهنا هتف الدكتور (سمير) ، في غضب هادر :

- ما الذي يحدث بالضبط ؟!

أجابه (نور) هذه المرة ، وهو يعتدل جالساً ، على طرف فراشه :

- سأخبرك أنا ما الذي يحدث هنا .

ومرة أخرى راح يروي ..

بحذر ..

* * *

امتد الفضاء أبديًا سرمديًا، لا نهائيًا، على نحو يتجاوز كل خيال، وتناثرت فيه مليارات النجوم، في تشكيلات فاق جمالها وتنسيقها الحدود..

وفي مجرة بعيدة..

بعيدة للغاية..

وحول نجم يتشابه كثيرًا مع شمسنا، دار كوكب صغير نسبيًا..

كوكب يقع ترتيبه الثالث، ضمن مجموعته، التي تضم سبعة عشر كوكبًا..

والمدهش أن ذلك الكوكب، كان يبدو من الفضاء الخارجي، قريب الشبه بكوكبنا الأرض، لولا أنه يدور حوله قمران، لا قمر واحد..

وهناك، في مكان ما من ذلك الكوكب، تلقى أحد الرجال رسالة..

رسالة عقلية..

قوية..

وبسرعة، ولأنه يعرف واجبه جيدًا، فقد انطلق بها إلى رئيسه، وسلمه إياها، وهو يقول بلغة، لا تشبه أية لغة نعرفها، على وجه الأرض:

- عميلنا في مأزق أيها القائد.

انعقد حاجبا قائده، وهو يقول:

- هل انكشف أمره؟!

أجابه الرجل بسرعة:

- ليس بعد، ولكنه قاب قوسين أو أدنى من هذا.

ازداد انعقاد حاجبي القائد، وهو يسأله:

- وكيف هذا؟!

راح الرجل يشرح له بالتفصيل، تلك الرسالة العقلية التي تلقاها، وهو يستمع إليه في اهتمام بالغ، قبل أن يستغرق في التفكير بضع لحظات، ثم يتساءل:

- هل تعتقد أنهم متقدمون، إلى الحد الذي يسمح لهم بكشف الأمر؟!

صمت الرجل بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، فى شىء من الحذر :

ـ إنهم متقدمون .. ولكن ليس إلى هذا الحد .

وهنا تراجع القائد فى مقعده ، وحك ذقنه بسبابته بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ دعهم يحاولون إذن .

واكتفى الرجل بهذا القول ، وأسرع عائدًا إلى مكتبه ، ليبث عبره رسالة عقلية ، بوساطة تقنية لم يعرفها عالمنا بعد ..

تقنية تتجاوز كل زمان ..

وكل مكان ..

* * *

لم يكد (نور) ينتهى من روايته ، حتى ارتسمت ابتسامة ساخرة كبيرة ، على شفتى الدكتور (سمير) ، وهو يقول :

ـ آه .. كل هذا إذن بسبب هلاوس ، عاشها بطل التحرير ، عبر غيبوبة عميقة .

قال (نور) فى حزم :

ـ لم تكن هلاوس ، وإنما ...

قاطعه الدكتور (سمير) فى حزم صارم :

ـ بل هلاوس .. أو هذيان غيبوبة أيها المقدم .. هذا ما يقوله العلم ، وما لا يمكن أن ينكره خبيركم النفسى .

ثم استدار إلى (رمزى) ، متابعًا بكل صرامته :

ـ أليس كذلك يا دكتور (رمزى) ؟!

تردد (رمزى) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ معذرة يا (نور) ، ولكنه احتمال وارد .

رمقته (نشوى) بنظرة غاضبة ساخطة ، فاستدرك فى توتر :

ـ العلم لا يعرف المجاملات .

أجابه (نور) :

ـ هذا صحيح ، ولكن العلم أيضًا له وسائل عديدة ، لكشف حقيقة كل شخص .

تألقت عينا الدكتور (سمير) ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- كتحليل الحامض النووي مثلاً .

انعقد حاجبا (أمجد) في شك ، في حين قال (نور) في حزم :

- أنت اقترحتها .

التقط الدكتور (سمير) نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :

- وأصر على إجراء الاختبار هنا .. وفوراً .

وهنا شد (أمجد) قامته ، قائلاً في حزم :

- فليكن .

لم تمض دقيقة واحدة على قوله هذا ، حتى كان أحد المختصين يأخذ عينة من أنسجة الدكتور (سمير) بالفعل ، وهذا الأخير يقول :

- أتوقع اعتذاراً رسمياً ، بعد ظهور نتيجة الفحص .

أجابه (أمجد) بمنتهى الحزم :

- سأقدم الاعتذار بنفسي ، بعد أن أحصل على النتيجة ، مع ملاحظة أن العينة لن تفارقني لحظة واحدة .

هز الدكتور (سمير) كتفيه في لامبالاة ، وهو يقول :

- هذا شأنك .

غادر (أمجد) المكان مع العينة ، فهتف (رمزي) ، وهو يلحق به :

- أحب أن أرى هذا بنفسي .

تابعهما الدكتور (سمير) بعينيه في ثقة ، قبل أن يجلس على مقعد قريباً ، ويبتسم ابتسامة ساخرة ، قائلاً :

- والآن أيها المقدم .. هل يمكنك أن تروي لي تلك القصة الطريفة مرة أخرى !

واتسعت ابتسامته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

«لاتوجد ذرة واحدة من الشك .. إنه الدكتور (سمير) .. » ..

نطق خبير الجينات والحمض النووي العبارة في حزم ، وهو يناول العينة وتقرير الفحص إلى (أمجد) ، الذي انعقد حاجباه في شدة ، في حين تساءل رمزي في توتر :

- أيعني هذا أنه آدمي ؟!

حدّق فيه الخبير بمنتهى الدهشة ، وهو يهتف :

- بالطبع !

تبادل (رمزي) نظرة عصبية مع (أمجد) ، قبل أن يستغرق هذا الأخير في تفكير عميق ، ثم يقول :

- هل تعتقد أن الأمر كان مجرد هذيان بالفعل ؟!

هزّ (رمزي) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- أيًا كان الأمر ، فـ (نور) يثق تمامًا في أنه حقيقة .

غمغم (أمجد) :

- هكذا الهذيان دومًا .

ثم عاد إلى تفكيره بضع لحظات أخرى ، قبل أن يلتقط هاتفه الخلوي من جيبه ، قائلاً :

- وأظنني أحتاج إلى رأي أكثر خبرة .

تساءل (رمزي) في ضيق :

- بشأن الحالة النفسية لـ (نور) ؟!

هزّ (أمجد) رأسه نفيًا في حزم ، وهو يجيب :

- بل بشأن عينة الأنسجة .

لم يفهم (رمزي) ما الذي يعنيه بقوله هذا ، حتى سمعه يقول ، عبر هاتفه الخلوي الخاص :

- دكتور (حجازي) .. أحتاج منك إلى خدمة .. خدمة خاصة جدًا .

وهنا فهم (رمزي) ..

لو تصوّر أنه كذلك ..

* * *

انطلقت ضحكة ساخرة عالية ، من بين شفتى الدكتور (سمير) ، عندما قرأ تقرير فحص أنسجته ، وقال وهو يتطلع إلى (نور) مباشرة :

ـ أظن أن هذا قد حسم الأمر .. أليس كذلك ؟!

أجابه (نور) ، فى حزم هادئ :

ـ مؤقتًا .

تطلع إليه الدكتور (سمير) لحظة فى مقت واضح ، قبل أن يقول :

ـ عنيد أنت أيها المقدم .

أشار (نور) إلى رأسه ، مجيبًا فى حزم :

ـ عندما يشعر عقلى أن الأمور ليست على ما يرام .

تطلع إليه الدكتور (سمير) مرة أخرى بنظرة عجيبة ، قبل أن يعتدل على مقعده ، قائلاً فى صرامة :

ـ بمناسبة الحديث عن العقل .. لقد خضعت لاختبارك ، وحان الوقت لتخضع أنت لاختبارى .

انعقد حاجبا (نور) ، فى حين تساءلت (نشوى) فى عصبية :

ـ أى اختبار هذا ؟!

أجابها بمنتهى الصرامة :

ـ الاختبار العقلى ، الذى قمت بتطويره ، بنفسك يا سيدة (نشوى) .

قالت (سلوى) فى عصبية :

ـ (نور) لن يخضع لأى اختبار .

أجابها فى صرامة أكثر :

ـ أخشى أنه لا يملك الاختيار .. هذا قرار يتعلق بالأمن القومى ، على أعلى مستوى .

وضع (أمجد) يده على كتفه فى قوة ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! كيف يمكن أن يتعلق هذا بالأمن القومى ، دون أن أدرى عنه شيئًا ؟!

ابتسم الدكتور (سمير) ، وهو يقول :

- ربما ينبغى أن نعيد صياغة الكلمة ، فنقول إنها تتعلق بالأمن العلمى .

ثم تألقت ابتسامته ، وهو يضيف بمنتهى الصرامة :

- ثم إن المقدم (نور) اتهمنى بأننى جاسوس فضائى ، ولم أغضب لهذا الشأن ، وإنما تركته ينفذ أى إجراء ، يمكن أن يطمئن قلبه بشأنه ، على الرغم من أن دليله الوحيد على اتهامى كان حلمًا أو هذيانًا عاناه فى غيبوبته ، أما أنا فلم أتهمه بشىء بعد ، ولكننى أشك ، وتشك القيادات العلمية كلها ، فى أنه مسئول عقليًا عما أصاب نظمنا الأمنية مؤخرًا ، ومن حقنا التأكد من أننا ما زلنا نتعامل مع (نور) نفسه ، الذى عرفناه من قبل ، قبل أن نتخذ أية إجراءات بشأنه ..

تساءل (أمجد) فى صرامة :

- وهل يعلم الرئيس بما ستفعله ؟!

أجابه الدكتور (سمير) بنفس الصرامة :

- يمكنك أن تخبره لو شئت ، ولكنه قرار من القائد الأعلى للمخابرات العلمية .

انتبهت كل حواس (نور) ، عندما نطق الرجل عبارته الأخيرة ، فى حين قال (أكرم) فى شراسة :

- اسمع يا رجل .. لست أهتم بمكانتك العلمية أو الرسمية ، ولو أنك مسست شعرة واحدة من رأس (نور) ، فسوف ...

قاطعه (نور) فى حزم :

- الرجل يؤدى واجبه يا (أكرم) .

استدار إليه (أكرم) فى عصبية ، فتابع بمنتهى الحزم :

- بقرار من قائدى الأعلى .

هبط صمت مهيب على المكان ، مع عبارة (نور) الأخيرة ، فى حين اعتدل (نور) على طرف فراشه ، مضيفًا :

- هيا يا دكتور (سمير) .. أد ما تلقيت أوامرك بشأنه ..

تألقت عينا الدكتور (سمير) ، على نحو لم يرق لأيهم أبدًا ، وهو يلتقط ذلك الجهاز الشبيه بالخوذة ، قائلاً :

- فليكن .. استرخ على فراشك أيها المقدم ، و ...

قاطعته (نشوى) هذه المرة في صرامة :

ـ مهلاً .. دعني أفحص هذا الجهاز أولاً .

هز الدكتور (سمير) رأسه ، فى حزم صارم ، وهو يقول :

ـ كلا .. ليس هذا من حقك .

صاحت به في غضب :

ـ أنا واحدة من فريق تطويره .

أجابها بكل الصرامة :

ـ وفرد من فريق (نور) أيضاً ، وهذا لا يمنحك الحق فى المشاركة فى الاختبار ، وفقاً للقانون .

أرادت أن تصيح فى وجهه مرة أخرى ، ولكن (نور) استوقفها ، وهو يقول بمنتهى الحزم :

ـ إنه على حق .

تراجعت متوترة ، فى حين استرخى (نور) على فراشه ، وهو يواجهه ، قائلاً :

ـ هيا .. قم بواجبك .

مرة أخرى ، تألقت عينا الدكتور (سمير) ، وهو يضع الجهاز على رأس (نور) ، الذى ابتسم ، قائلاً :

ـ أنا أيضاً أتوقع اعتذاراً ، بعد أن تجرى اختبارك العقلى هذا .

ابتسم الدكتور (سمير) ابتسامة غير مريحة ، وهو يقول :

ـ ستحصل على ما هو أكثر من الاعتذار .

قالها ، ثم ضغط زر الجهاز ..

وانتفض جسد (نور) فى عنف ..

وتدفقت طاقة هائلة عبر عقله ..

طاقة جعلته ، ولأول مرة فى حياته يطلق صرخة ..

صرخة مدوية ..

للغاية ..

* * *

٢ ـ صرخة عقل ..

بمنتهى العنف ، انتفض متلقى الرسائل العقلية ، فى ذلك الكوكب البعيد ، وأمسك جانبى رأسه بكفيه ، وهو يتراجع فى قوة ، وكأنما أصابته صاعقة ، حتى سقط على ظهره ، لاهثًا فى عنف ..

ولثوان ، ظل مستلقيًا فى مكانه ، وعقله يصرخ ..

ويصرخ ..

ويصرخ ..

ثم تصبَّب على وجهه عرق غزير ، وهو ينهض فى صعوبة ، ويعدو نحو حجرة قائده ، هاتفًا :

ـ كارثة أيها القائد .. كارثة .

اعتدل قائده فى توتر ، وهو يسأله :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

ارتجف صوت الرجل وجسده ، وهو يجيب :

ـ لقد تلقيت إشارة فائقة القوة ، من كوكب (بلوكا) ، الذى يطلق عليه سكانه اسم الأرض .

تساءل القائد بمنتهى القلق :

ـ من عميلنا ؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلَّا .

انعقد حاجبا القائد بمنتهى الشدة ، وبدا عليه توتر هائل ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ ماذا تعنى بهذا ؟! لا يمكن أن يكون لديهم عقل آخر ، يطلق موجات قادرة على بلوغنا ، أو ...

قاطعه الرجل فى انفعال ، دون أن ينتبه إلى ما فى هذا من مخالفة كل القواعد والنظم :

ـ إنها إشارة مختلفة أيها القائد .

سأله القائد فى توتر أكثر :

ـ على أى نحو ؟!

أشار الرجل بيده ، مجيبًا ، وصوته مازال يحمل كل انفعاله :

- أكثر قوة ، وأكثر تحديدًا .

اتسعت عينا القائد في شدة ، وبدا وكأنه يغوص في مقعده بضع لحظات ، قبل أن يهب واقفًا ، ويتحرك في توتر نحو نافذة حجرته الكبيرة ؛ ليطل منها على مدينة عظيمة ، تمتد إلى مدى البصر ، تحت ضوء قمرين متقاربين ، قبل أن يقول :

- عجبًا .. حتى وقت قريب ، لم نكن نعلم حتى بوجود ذلك الكوكب ، إلى أن تلقت أجهزتنا إشارات عقلية فائقة ، أمكنها اختراق ثقب زمكاني ، لتصل إلينا على نحو يمكن رصده .

غمغم الرجل :

- مازلت أذكر كيف أدهشنا وأربكنا هذا في البداية ، خاصة وأننا كنا نتصور أنه ما من مخلوقات عاقلة ، تمتلك قوى ذهنية في الكون سوانا .

أومأ القائد برأسه ، متابعًا :

- فلكيونا بذلوا جهدًا رهيبًا يومئذ ، لتتبع تلك الإشارات العقلية الفائقة ، وتحديد الكوكب الذي انبعثت منه ، حتى وقعوا على (بلوكا) ، في مجموعة (زيكولس) ، حيث تضاعفت دهشتنا ألف مرة .

قال الرجل في انفعال :

- أمر طبيعي أيها القائد .. (بلوكا) كان شبيهًا بكوكبنا ، على نحو عجيب ، في مناخه ، وحجمه ، ودرجة قربه من نجمه .

عضَّ القائد شفتيه ، مغمغمًا :

- لذا كان من الضروري أن نرسل (سوبز) .. أفضل رجالنا إلى هناك .

قال الرجل ، وكأنما يكمل حديث قائده :

- وجوده هناك أربكنا أكثر وأكثر ؛ فذلك الكوكب بدا وكأنه نسخة أخرى من كوكبنا ، ولكننا نسبقه بألف عام من التطور على الأقل .. سكانه لهم نفس هيئتنا ، وتكويننا ، وحتى تركيبتنا الجينية والخلوية .. وكأنهم .. وكأنهم ..

بدا كالعاجز عن إكمال عبارته ، فاستدار إليه القائد ، مكملاً إياها بمنتهى الحزم والحسم :

ـ وكأنهم ينتمون إلى الأصول نفسها .

ثم أطلق زفرة ملتهبة ، من أعماق أعماق صدره ، وهو يتابع :

ـ وها نحن ذا نتلقى إشارات تربكنا أكثر .

مال الرجل نحوه ، قائلاً :

ـ ماذا نفعل بشأنها أيها القائد ؟!

أجابه القائد في سرعة :

ـ لن نفعل شيئاً .

ارتفع حاجبا الرجل بمنتهى الدهشة ، فتابع القائد بمنتهى الحزم :

ـ قبل أن يخبرنا (سويز) ما الذي تعنيه .. أو ما الذي يمكن أن تعنيه ؟!

قالها بصوت حمل القلق ..

كل القلق ..

* * *

مع دوي صرخة (نور) ، في كافة أرجاء المستشفى ، انتفضت أجساد رفاقه جميعهم في عنف ، ووثب (أكرم) يدفع الدكتور (سمير) نحو الحائط ، ويلصق فوهة مسدسه بأسفل ذقنه ، صارخاً :

ـ ماذا فعلت بـ (نور) أيها الحقير ؟!

هتف الدكتور (سمير) في عصبية :

ـ لم أفعل به شيئاً .. لقد استخدمت جهازاً طوّرته ابنته نفسها .

كان الكل يفحص (نور) ، أو يستدعي فريق الإسعاف ، عندما صاحت (نشوى) في ارتياع :

ـ رباه ! مؤشر الطاقة عند الحد الأقصى .. ماذا فعلت بأبي ؟!

هتف الدكتور (سمير) :

- لست أدرى ما الذى يعنيه مؤشر الطاقة .. لقد تسلمت الجهاز على هذا النحو ، واستخدمته كما أخبرونى بالضبط .

جذب (أكرم) مشط مسدسه فى غضب ، صائحًا :

- أيها الـ ...

استوقفه (أمجد) بحركة قوية ، قبضت فيها أصابعه الفولاذية على معصمه ، وهو يقول فى صرامة :

- مهلاً يا (أكرم) .. قتله الآن سيكون أحمق أمر يمكن أن نقدم عليه ، فى ظروف كهذه .

استدار إليه (أكرم) فى حدة ، فأضاف بمنتهى الحزم :

- إننى أحتاج إلى استجوابه .

هتف الدكتور (سمير) فى حدة :

- ليس هذا من حقك .

تطلّع (أمجد) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

- بل هو من حقى يا رجل ؛ باعتبارى المستشار الأمنى الأول لرئيس الجمهورية .

قال فى عصبية :

- هناك إجراءات لهذا .

أجابه (أمجد) :

- سيتم اتباعها بمنتهى الدقة .

رمقه (سمير) بنظرة مقت ، وهو يرفع سبابته ، قائلاً :

- فى البداية ، ينبغى أن ...

قاطعته (سلوى) ، وهى تقول فى ارتياع شديد :

- دعكم من كل هذا الآن ، ولتروا ما أصاب (نور) .

مع قولها ، استدار (أمجد) بحركة حادة إلى (نور) ، ثم انعقد حاجباه بمنتهى الشدة ..

هناك على فراشه الصغير ، كان (نور) جامدًا ، كتمثال من الصخر ، وعيناه متسعتان عن آخرهما ، وكأنه فى عالم آخر ..

عالم بعيد ..

بعيد إلى أقصى حد ..

* * *

على نحو مباغت عنيف ، انطلق عقل (نور) ..

انطلق بسرعة خرافية عبر الزمان ..

وعبر المكان ..

لم يدر أين ولا كيف ينطلق ، ولكن بدا له أنه يخترق الفضاء في رحلة فائقة السرعة ، تفوق سرعة الضوء نفسه ، حتى بدت له النجوم والمجرات أشبه بخطوط متفاوتة من الضوء ..

ثم أظلمت الدنيا كلها بغتة ..

وأضاءت دفعة واحدة ..

ومع إضاءتها ، توقف عقله عن الانطلاق ..

وهدأ ..

واستقر ..

(نور) ..

سمع النداء يتردد من حوله ، عبر فراغ غير محدود ..

فراغ لا يمكن أن يصفه ..

فراغ لم يره بشرى من قبل ..

ومن بعيد ، بدا له ما يشبه الضباب ..

ضباب هادئ ، ينتشر في كل الاتجاهات ، على نحو أوحى إليه أنه يطير بلا حدود ..

ثم ظهر ذلك الظل ..

ظل بشرى يعبر الضباب ، في هدوء مدهش ..

ويتجه نحوه مباشرة ..

وبمشاعر خاوية تمامًا ، راح (نور) يتابع اقتراب ذلك الظل ..

ويتابع ..

ويتابع ..

وفي كل خطوة ، كان الظل يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم فجأة ، اتضحت ملامحه ..

وظهرت ابتسامته ..

وبنفس المشاعر الخاوية ، غمغم (نور) :

- (محمود) .

كان ذلك القادم هو (محمود) ، زميلهم الذي فقدوه قديمًا ، في نهر الزمن(*) ..

بهيئته ..

وقامته ..

وملامحه ..

وابتسامته ..

وبنفس المشاعر ، التي لا تعبّر عن أي شيء في الوجود ، تمتم (نور) :

أأنت (محمود) حقًّا ؟!

أجابه (محمود) ، بصوت بدا وكأنه يخاطب دماغه مباشرة :

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) ..

- نعم يا (نور) .. أنا (محمود) .. (محمود) الذي تعرفونه جميعًا .. اطمئن .. ليست خدعة ، أو صورة مفروضة .. إنه أنا .

سأله (نور) :

- ولكن كيف صنعت هذا الاتصال يا (محمود) ؟!

ابتسم (محمود) ، قائلاً :

- لم أصنع أية اتصالات هذه المرة يا (نور) .. أنت صنعتها .

قال (نور) في دهشة ، بدت وكأنها تأتي من شخص آخر :

- أنا ؟!

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم يا (نور) .. قواك العقلية تنطلق الآن ، كما لم تنطلق من قبل قط .. بل وكما لم تبلغ أية قوة عقلية ، في الكون كله .. لقد أصبحت قادرًا على اختراق الزمان والمكان بلا حدود .

تساءل (نور) :

ـ أهذا جيد أم سيئ ؟!

أجاب (محمود) ، وهو يشير بيده :

ـ هذا يتوقف على كيفية استخدامك له يا (نور) .. عقلك الآن أشبه ببطارية نووية ، قادرة على اختراق الزمان ، وتمكنك بوساطته اختراق أى عقل .. فى أى مكان فى الكون .

خُيِّل لـ (نور) أنه قد استوعب ما يعنيه (محمود) ، فمال نحوه ، يسأله :

ـ وما أفضل عقل فى رأيك ؟!

تطلّع إليه (محمود) طويلاً فى صمت ، ثم قال بصوت عميق :

ـ هناك .. فى أعمق أعماق الكون ، يوجد عقل يحوى كل ما تبحث عنه .. عقل جبار ، يحكم أمة عظيمة .

تساءل (نور) فى اهتمام :

ـ أهم أولئك ، الذى يسعون لغزونا ؟!

بدا جسد (محمود) يبتعد ، وصوته يزداد عمقًا ، وهو يقول :

ـ الأمر فى نظرهم ليس غزوًا يا (نور) .. وإنما استعادة .

تساءل (نور) فى توتر ، والضباب ينتشر من حوله ، وصوت (محمود) يخبو ..

ويخبو ..

ويخبو ..

ـ استعادة ماذا ؟!

بدا صوت (محمود) بعيدًا ..

خافتًا ..

عميقًا ..

وشاحبًا تمامًا ، وهو يجيب :

- تاريخهم .

ومع قوله ، شعر (نور) بانتفاضة عنيفة تشمل جسده كله ..

فصرخ ..

وصرخ ..

وصرخ ..

بلا نهاية ..

* * *

« إنه يستعيد وعيه .. » ..

بدت العبارة شاحبة بعيدة ، وهي تتسلل إلى عقل (نور) ..

وتنتشر ..

وتتعمق ..

ثم تتضح ..

وفي بطء ، فتح عينيه ، وتطلع أمامه ..

كان رفاقه جميعهم يلتفون نحوه ، ويتطلعون إليه في قلق ، و (سلوى) تقول ، في صوت أقرب إلى البكاء :

- حمداً لله .. حمداً لله ..

اختلط صوتها بصوت الدكتور (سمير) ، وهو يقول في غضب :

- والآن ، هل يمكنكم إطلاق سراحي ، والتوقف عن هذه السخافات ، ما دام قائدكم قد استعاد وعيه .

مع قوله ، شعر (نور) بانطلاقة أخيرة متراجعة لعقله ..

انطلاقة رصد خلالها كل ما يدور ، في عقول من حوله ..

عقولهم كلها بدت له أشبه بكتاب مفتوح ، للحظات ..

فيما عدا عقل واحد ..

عقل الدكتور (سمير) ..

وحده بدا أشبه بحجرة مظلمة ..

حجرة سوداء ..

داكنة ..

خاوية ..

ثم تلاشت الظاهرة ..

وابتسم الدكتور (سمير) ..

ابتسم وكأنه يسخر من (نور) ، الذى عجز عن اختراق عقله ..

وكأنه يتحداه ..

ويعلن معرفته ما حدث ..

ولقد استغرقت ابتسامته ثانية واحدة ، ثم تلاشت ..

ومع تلاشيها ، غمغم (نور) :

ـ إنه أنت .

مع قوله ، صاح (أكرم) فى حدة ، وهو يلوى ذراع الدكتور (سمير) خلف ظهره :

ـ كنت أعلم هذا .

لم يبد الدكتور (سمير) مباليًا بما يحدث هذه المرة ، وإنما التفت إلى (أكرم) فى برود عجيب ، وتألقت عيناه ، وهو يقول :

ـ مشكلتك أنك همجى أكثر مما ينبغى يا سيد (أكرم) ، وتتصور دومًا أن القوة هى السبيل الوحيد ؛ لحل كل مشكلة تواجهك .

ضغط (أكرم) ذراعه أكثر ، وهو يقول :

ـ أليست كذلك بالفعل ؟!

أجابه الدكتور (سمير) فى صرامة مخيفة :

ـ كلاً .. ليست كذلك .

مع قوله ، تحركت ذراعه ، التى يلويها (أكرم) خلف ظهره ، وشعر بها هذا الأخير ، وكأنها ذراع فولاذية لونش قوى ، وهى تعتدل ، على نحو عجزت قوته كلها عن منعه .

وعندما تجلت فى عينيه نظرة دهشة عارمة ، هز الدكتور (سمير) رأسه ، قائلاً :

ـ وأظنك قد أدركت هذا الآن .

اتسعت عيون الجميع بمنتهى الدهشة ، في حين اقترب (أمجد) من الدكتور (سمير) ، وبدا متحفزًا للقتال ، وهو يقول :

- قل لي يا دكتور (سمير) كيف لعالم مثلك أن يكتسب من القوة ، ما يكفي للقيام بما فعلته الآن .

هز الدكتور (سمير) كتفيه في لامبالاة ، وابتسم ، قائلاً :

- لو أنك راجعت ملف خدمتي ، لوجدت أنني أتمتع بتلك القوة ، التي تفوق أقراني ، منذ طفولتي .. إنها حالة فريدة ، ولكنها ليست بالندرة ، التي تستحق كل هذه الدهشة ، التي تطل في عيون الجميع ، والتحفز المطل في عينيك(*) ..

ران صمت تام ، و (أمجد) يرمق الدكتور (سمير) بنظرة نارية ، قبل أن يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً في صرامة :

- هناك علامات استفهام عديدة تدور حولك يا دكتور (سمير) .

(*) حقيقة ..

أجابه الرجل في برود :

- دون دليل مادي واحد يا سيد (أمجد) .. لا تنس هذا أبدًا .

قال (أمجد) بمنتهى الصرامة :

- اطمئن .. لن أنسى شيئًا .

تألقت عينا الدكتور (سمير) مرة أخرى ، وهو يمد يده لالتقاط الجهاز الشبيه بالخوذة ، قائلاً في برود :

- عظيم .

تبعه (نور) ببصره ، وهو يغادر المكان ، ثم أدار عينيه إلى (أمجد) ..

ودون أن يتبادلا كلمة واحدة ، أدارت عيونهما حوارًا طويلاً ..

وخطيرًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

راجع القائد خريطة النجوم أمامه ، فى اهتمام بالغ ، قبل أن يدير عينيه إلى نافذة مكتبه الضخم ، التى تشرف على المدينة العظيمة ، ويقول لمسئول الاتصالات العقلية :

- على الرغم من أن ذلك الاتصال فوق الفائق ، لم يستغرق سوى ثوان معدودة ، إلا أن أجهزتنا تؤكد أنه أقوى اتصال عقلى عرفه الكون ، فى التاريخ العلمى كله .

غمغم مسئول الاتصالات العقلية :

- هذا صحيح ، ولكنه يفوق أقصى ما بلغناه بمرتين على الأقل ، مما يعنى أننا لم نعد القوة العقلية الأولى فى الكون .

مط القائد شفتيه ، وهو يغمغم :

- لكل شىء بداية .

زفر مسئول الاتصالات العقلية فى أسى ، وهو يغمغم :

- هذا صحيح .. لا شىء يدوم إلى الأبد ، مهما طال به الزمن .. المشكلة أن ذلك الاتصال قد اخترق ثغرات الزمكان ، وبلغ كوكبنا ، على الرغم من المسافات الهائلة الشاسعة ، التى تفصله عنا ، مما يعنى أن ...

قاطعه القائد فى توتر :

- هذه ليست المشكلة ..

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يقول فى دهشة :

- ليست المشكلة ؟! وكيف هذا ؟!

قال القائد ، فى صرامة عصبية :

- المشكلة تفوق هذا بكثير .

اتسعت عينا الرجل فى دهشة حائرة ، فاستدار إليه القائد ، وهو يتابع بكل توتره :

- لقد شعرت بموجات عقله ، تكاد تخترق ذاكرتى ، وتسلبنى تاريخنا كله .

واتسعت عينا مسئول الاتصالات العقلية عن آخرهما ..

فما قاله القائد ، كان يشير إلى موقف خطير ..

خطير إلى أقصى حد ..

* * *

«ما حدث ليس طبيعيًا أبدًا .. » ..

غمغم (أكرم) بالعبارة، فى عصبية ملحوظة، وهو يدور فى حجرة (نور) كليث ثائر، فأشار إليه (نور) بيده، قائلاً فى حزم:

- إننا جميعًا نشعر بهذا يا صديقى.

رفع (رمزى) رأسه، مضيفًا:

- ولكن دون دليل واحد، حسبما يقول.

هتفت (سلوى):

- أراهن أن شيئًا ما يسيطر على عقله.

قالت (نشوى) فى حذر:

- لعله نفس الشىء، الذى حاول السيطرة على عقل أبى، فى غيبوبته.

وهنا، عقد (أمجد) ساعديه أمام صدره، وهو يقول فى حزم:

- عجبًا! كنت أتصور أن فريق (نور) الشهير لا يمكن أن يكتفى بحديث متوتر، حول أمر غامض.

أدار (نور) عينيه إليه، قائلاً:

- هذا صحيح يا سيد (أمجد).. لا يمكن أن نكتفى بأى حديث، وإنما علينا أن نعمل كفريق علمى.. كما ينتظر منا.

قالها، والتفت إلى (نشوى)، مكملاً بلهجة حاسمة آمرة:

- عينة الأنسجة، التى قاموا بفحصها هنا، تطابقت مع العينة المسجلة فى كمبيوتر الأمن العام، للدكتور (سمير).. أريدك أن تقومى بفحص شبكة المعلومات الأمنية؛ لمعرفة ما إذا حدث تدخل ذكى فيها، بأية صورة من الصور.

قال (أكرم) فى انفعال:

- أتعنى أن المسجل فى شبكة المعلومات، قد تم العبث به، ليتطابق مع ذلك المدعى؟!

أشار (نور) بسبابته، قائلاً:

- بالضبط.

ثم أومأ إلى زوجته ، مضيفاً :

ـ أما أنت يا (سلوى) ، فستتعاونين مع (نشوى) ؛ للتأكد ما إذا كانت الموجات الفائقة ، التي تم تسجيلها ، قادمة من الأرض أم من الفضاء .

شد (أكرم) قامته ، كجندى فى ميدان ، وهو يقول :

ـ وماذا عنى ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ سيأتى دورك فى موعده ياصديقى .

ثم التفت إلى (رمزى) ، مكملاً :

ـ أما أنت يا (رمزى) ، فأريدك أن تدرس نفسية الدكتور (سمير) جيداً ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حزم :

ـ لقد فعلت .

بدا الاهتمام على الجميع ، و (نور) يسأله :

ـ وماذا وجدت ؟!

أجابه على الفور :

ـ تناقض نفسى شديد التعقيد ، يجمع بين المقت والسخط ، والعدوانية ، واللامبالاة أيضاً .

التقط (أمجد) نفساً عميقاً ، وهو يقول :

ـ أظننى سأتخذ كل الإجراءات الرسمية بالفعل ؛ للتحقيق مع ذلك الرجل ، وإجراء كل الفحوص اللازمة عليه ، حتى لو اضطررت لتشريحه حياً .

قالها ، واندفع يغادر المكان ، فانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يستل مسدسه ، قائلاً فى صرامة متوترة :

ـ فى ظروف كهذه ، أظن أن أفضل ما أفعله هو أن أبقى لحراستك وحمايتك يا (نور) .

ـ لست أظن هناك داعياً لهذا يا صديقى .. (س ـ ١٨) هنا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واعتدل بحركة حادة ، هاتفاً :

ـ رباه ! أين (س ـ ١٨) ؟!

قبل حتى أن يتم عبارته ، كان (أكرم) يندفع خارج حجرة (نور) ، ثم يتجمد في مكانه مصدوماً ..

فهناك ، عند باب الحجرة ، لم يكن هناك وجود لـ (س - ١٨) ..

لقد اختفى ..

تماماً .

* * *

٤- عملية تصفية ..

لم يستطع (أمجد) التوقف لحظة واحدة ، عن التفكير في أمر الدكتور (سمير) ، وهو يقود سيارته ، عائداً إلى مكتبه ، في رياسة الجمهورية ..

كان يدرس كيفية إخبار الرئيس بالأمر، وإقناعه باتخاذ قرارات حاسمة ، بشأن رئيس مركز الأبحاث ، التابع لأقوى جهة أمنية في البلاد ، دون دليل مادي واحد يدينه ..

صحيح أن هناك عشرات القرائن ، التي تجعل الرجل موضع شبهات ، في ظروف دقيقة ، ولكن بلا دليل مادي واحد ..

أي دليل ..

ربما أمكنه ، كمستشار أمني خاص للرئيس ، طلب إجراء تحقيق شامل مع الرجل ، بمجرد الشك ، ولكن من الصعب ، دون أية أدلة ، أن يجبره على إجراء أية فحوص يتطلبها الأمر ..

وهو يحتاج إلى الكثير منها ..

الكثير جداً ..

ظل عقله يدرس ..

ويدرس ..

ويدرس ..

حتى وصل مكتبه ..

وبينما يعبر بابه، كان قد اتخذ قراره بحسم الأمر، مهما كان الثمن، و ....

وفجأة، انعقد حاجباه في شدة، وهو يتطلع إلى الركن المظلم البعيد من حجرة مكتبه، قائلاً في صرامة:

ـ كيف دخلت إلى هنا ؟!

برز الدكتور (سمير) من الركن، في هدوء عجيب، وهو يبتسم ابتسامة مخيفة، قائلاً:

ـ مدهش يا سيد (أمجد) .. على الرغم من سنوات عمرك، فما زلت تتمتع بحواس نشطة وعقل يقظ.

كرر (أمجد) في صرامة غاضبة:

ـ كيف دخلت إلى هنا ؟!

هز الدكتور (سمير) كتفيه في لامبالاة، وهو يقول:

ـ إنه أمر أبسط مما تتصور، مع تكنولوجيا تفوقكم بثلاثمائة عام على الأقل.

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد، عندما سحب (أمجد) مسدسه في سرعة تفوق قدرات من في مثل عمره بكثير، وهو يقول:

ـ عظيم .. هذا الاعتراف الصريح يكفيني.

هز الدكتور (سمير) رأسه نفياً في هدوء، دون أن يبدي أدنى اهتمام بفوهة المسدس القاتلة، المصوبة إليه، وهو يقول:

ـ هل تتصور هذا حقاً ؟! لو أن عقلك يكتفي بقولي، فهذا يثبت أنكم لم تتطوروا ذهنياً بما يكفي .. كان ينبغي أن تسأل نفسك أولاً عدة أسئلة .. فلو أنني من كوكب آخر بالفعل، فكيف تتطابق جيناتي مع جيناتكم .. وكيف تبدو

هيئتي كهيئتكم ، وكيف أتحدث لغتكم بهذه الطلاقة ..
والسؤال الأهم هو : كيف وصلت إليكم ؟!

ابتسم (أمجد) في سخرية ، وهو يقول :

- كل هذا ستجيب عليه ، عندما يتم استجوابك ، و ...

تألقت عينا الدكتور (سمير) ، وهو يقول بلهجة عجيبة :

- وماذا ؟!

مع قوله ، شعر (أمجد) بشيء ما يخترق عقله ..

ويضربه ..

ويربكه ..

ويحجب عنه وضوح الرؤية ..

كان من الواضح أن قوة ما تسعى للسيطرة على عقله ..

قوة هائلة ..

عنيفة ..

متطورة ..

قاسية ..

وفي بطء هادئ واثق ، راح الدكتور (سمير) يقترب منه ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وارتج عقل (أمجد) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعلى الرغم من آلامه وتوتراته ، هتف (أمجد) ، مستنفراً كل إرادته :

- إياك أن تفعلها .

ولكن ابتسامة الدكتور (سمير) اتسعت ..

وواصل الاقتراب ..

والتحدي ..

واللامبالاة ..

و ...

وضغط (أمجد) زناد مسدسه ..

كان يترنح ، من فرط الضغط الهائل ، الواقع على دماغه ، وعلى الرغم من هذا ، فقد صوّب مسدسه بقدر الإمكان ..

وأطلقه ..

وعبر الفوهة القاتلة ، انطلقت الرصاصة نحو رأس الدكتور (سمير) مباشرة ، و ...

وتوقفت ..

على الرغم من كل ما يتعارض مع هذا علميًا ومنطقيًا ، توقفت الرصاصة ، على بعد سنتيمترات قليلة من منتصف جبهته ..

توقفت ، كما لو أن المشهد كله قد تجمّد دفعة واحدة ..

وبمنتهى الهدوء ، ابتسم الدكتور (سمير) ، قائلاً :

ـ لم تدركوا بعد أن العقل أيضًا يمكن تطويره .. أليس كذلك ؟!

غمغم (أمجد) ، ومسدسه يسقط من يده ، على الرغم عنه :

ـ لن .. لن تفلح أبدًا .

مطّ الدكتور (سمير) شفتيه ، قائلاً :

ـ رائع .. إرادة مدهشة ياسيّد (أمجد) .. لو أنني أواجه رجلاً آخر ، لانهار قبل خمس دقائق .. من الواضح أنك رجل أمن ممتاز ، كما يقول ملفك .

كانت الآلام رهيبة بحق ، ولكن (أمجد) راح يقاوم ..

ويقاوم ..

ويقاوم ..

أما الدكتور (سمير) ، فبدا مستمتعًا بالرصاصة ، المعلقة أمام جبهته ، وهو يقول :

ـ الواقع أنني أيضًا رجل أمن ، أؤدي واجبي من أجل كوكبي ، وأقدر كثيرًا ماتفعله من أجل عالمك ، ولكنني مصر على إكمال مهمتي ، التي تسعون لإفسادها ، حتى لو اضطررت لـ ...

صمت لحظة، ثم أضاف بمنتهى القسوة:

ـ للقتل.

مع كلمته، انطلقت الرصاصة مرة أخرى..

بكل قوتها..

وسرعتها..

ولكن في الاتجاه المضاد..

وبمنتهى العنف، ارتطمت بصدر (أمجد)، وانتزعته من مكانه، ودفعته إلى الخلف؛ ليرتطم بالجدار، ثم يسقط على وجهه..

ومن موضع في صدره، انساب نهر صغير من الدم..

أما الدكتور (سمير)، فقد ظل هادئًا جامدًا، وجسده يتلاشى..

ويتلاشى..

ويتلاشى...

حتى اختفى تمامًا..

دون أدنى أثر..

* * *

فجأة، تلقت أجهزة (س ـ ١٨) أمرًا..

أمر حمل صوت ولهجة (نور)..

ووفقًا لبرنامجه شديد التعقيد، كان من الضروري أن ينفذ الأمر، مهما بلغت صعوبته..

لذا فقد انطلق..

انطلق بأقصى سرعة، تسمح بها أجهزته، متعقبًا إشارة، لم يجد شبيهًا لها، في كل برامجه المسجلة..

انطلق..

وانطلق..

وانطلق..

ومع انطلاقته، راح يغوص أكثر وأكثر في أعماق الكون..

ولكن الإشارة كانت تتلاشى بسرعة..

وتتجه نحو بقعة سجلت أجهزته اضطرابًا زمنيًا مكانيًا فيها ..

اضطراب غير محدود ..

وغير واضح ..

ولكن (س – ١٨) لم يتراجع ..

لقد انطلق خلف الإشارة ..

وزاد من سرعته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعبر الثقب ..

ثقب زمكاني شديد الاضطراب ..

وشديد العمق ..

ومع اقتحام (س – ١٨) له ، تلاشت الإشارة تمامًا ، وكأنها لم تكن ..

سجلت أجهزة (س – ١٨) هذا ..

ودرسته ..

وحاولت استخلاص نتائجه ..

ولكن النتائج لم تكن واضحة ..

لأول مرة ، في تاريخ (س – ١٨) كله ، اضطربت أجهزته .. وتشابكت ..

وتعقدت ..

وفي أعمق أعماقه الرقمية الإليكترونية ، راحت ملايين العمليات تحدث ..

وتدرس ..

وترتب ..

وتحلل ..

واستدار (س – ١٨) محاولاً العودة ..

ولكن أجهزته عجزت عن هذا ..

فكل شيء حوله كان مضطربًا ..

مرتبكًا ..

ضائعًا ..

وكل ما حوله كان خارج الزمان ..

والمكان ..

والحدود ..

وانطلقت أجهزة (س ـ ١٨) تعمل ..

وتعمل ..

وتعمل ..

ثم فجأة، توقف جسده كله عن الحركة ..

وانطفأت أضواء عينيه الآليتين ..

وراح جسده يسبح بلا هدف ..

عبر الزمكان ..

بلا نهاية ..

* * *

في تفكير عميق، وقف ذلك القائد يتطلع إلى مدينته العظيمة، تحت ضوء قمري كوكبه ..

فما تم كشفه مؤخرًا، كان يحمل تهديدًا خطيرًا لعالمه ..

ذلك العالم الذي قضى الأجداد مئات القرون، ليصنعوا منه ما هو عليه الآن ..

حضارة عظيمة ..

قوية ..

متطورة ..

حضارة تقول كل الدراسات لديهم أنها أقدم حضارة، في الكون كله ..

حضارة استنفدت كل ما يمكن الحصول عليه من الأجساد، فاتجهت إلى العقول والأدمغة ..

حضارة طورت تكنولوجيتها ..

وأجسادها ..

وعقولها ..

وعبر عدة قرون، وبرنامج فضائي يتم تطويره كل يوم، جابت حضارتهم معظم الكون ..

كشفت مجرات ..

وكواكب ..

وأقمار ..

رصدت مخلوقات بدائية ..

وعاقلة ..

ومتطورة ..

وسجلت عشرات الأنماط منها ..

وعشرات من سبل الحياة ، في العوالم المختلفة ..

ومع كل كشف ، كانت قناعتها تتزايد ، في أنها أرقى حضارة ..

على الإطلاق ..

كل الحضارات الأخرى ، لم تبلغ أبدًا مرحلة الرقي العقلي والدماغي ، الذي بلغته هي ..

حتى تم رصد إشارة عقلية فائقة بغتة ..

كان العلماء قد طوّروا البرنامج الفضائي على التو ، وكشفوا الثقوب الزمكانية ، وكيفية رصدها ، والإفادة منها ، عندما تلقوا عبرها تلك الإشارة ..

إشارة تعني أنه هناك مخلوقات دماغية متطوّرة في الكون ..

مخلوقات قد تنافسها حضارتها ذات يوم ..

لذا فقد أطلقت جاسوسها (سويز) ؛ ليدرس الأمر ..

أطلقته مثل الفيروس ، في العالم الشبيه ..

فيروس فضائي خاص ، يحيا متطفلاً على الأجساد ..

والعقول ..

والمعلومات ..

وعندما أبلغهم (سويز) أن تلك الطاقة العقلية ، التي رصدتها أجهزتهم ، من الطرف الآخر للكون ، كانت حالة نادرة مؤقتة ، ارتاحت نفوسهم ..

ولكنهم لم يسترجعوا فيروسهم ..

كان عليه أن يبقى ..

وينتشر ..

ويستمر ..

ويرصد ..

ويسجل ..

ويرسل كل ما يتوصل إليه ..

و ...

« عميلنا نفذ مهمته الأولى بنجاح أيها القائد .. »

التفت القائد إلى الرجل في بطء ، وهو يسأله :

- وماذا عن مهمتكم أنتم ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- تم تنفيذها أيضًا بنجاح .. الآلي الذي نعتبره أقوى أسلحتهم ، لم يمكنه تمييز الموجة المماثلة لصوت ولهجة سيده ، وقام بتنفيذ المهمة التي دفعناه إليها ، حتى ضل طريقه في فراغ زمكاني دفعناه إليه ..

صمت القائد لحظة ، قبل أن يسأل :

- وما فرصته في الخروج منه ؟!

أجاب الرجل في سرعة :

- أقل من الصفر .

انعقد حاجبا القائد ، فاستدرك الرجل موضحًا :

- من أهم سمات الفراغ الزمكاني ، أنه يفتقر إلى أية إحداثيات واضحة ، مما يعني أن ذلك الآلي ، الذي نجهل كيفية حصولهم عليه ، مع تكنولوجيتهم المتأخرة ، لن يمكنه تحديد موقعه ، أو خط سيره ، مما يعني أن عليه أن يجري ما يقرب من ستة مليارات عملية حسابية شديدة التعقيد ، ولسنا نظن طاقته كلها تكفي لفعل هذا .

زمجر القائد في غضب مستنكر :

- تظنون ؟!

أشار الرجل بيده ، قائلا :

- في أمور كهذه ، لا يمكن الوصول إلى الحسم الكامل أيها القائد .

مط ذلك القائد شفتيه ، وكأنما لا يروقه الجواب ، ثم عاد يتلفت إلى مدينته العظيمة في صمت ، فتساءل الرجل في حذر :

- ماذا عن الباقين أيها القائد ؟!

جاوبه صمت القائد بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول في صرامة :

- دعه يكمل مهمته إلى النهاية ..

وصمت لحظة جديدة ، ثم أضاف في قسوة :

- إننا نحمي وجودنا .

ولم يزد بعدها حرفًا واحدًا ..

* * *

« ماذا تفعل بالضبط يا (نور) ؟! »

نطق (أكرم) العبارة في عصبية ، وهو يتطلع إلى (نور) ، الذي غادر فراش المرض ، وراح يرتدي ثيابه ، ثم تابع في حدة ، عندما تجاهل (نور) سؤاله تمامًا :

- الأطباء أكدوا أنه لايمكنك مغادرة فراشك ، قبل يومين آخرين على الأقل .

أجابه (نور) هذه المرة في صرامة :

- الأطباء ليسوا مسئولين عن أمن عالم بأكمله يا صديقي ، ثم إنني أشعر بنشاط جم ، يجعل بقائي هنا مجرد إضاعة وقت .

لوّح (أكرم) بيده ، قائلاً :

- ولكن الجميع يقومون بأعمالهم بالفعل يا (نور) ، فما الذي يمكن أن تفعله أنت ؟!

أدار (نور) عينيه إليه بنظرة صارمة ، مجيبًا :

- أقودهم .

هتف (أكرم) :

- أنت تقودهم من هنا بالفعل يا (نور) .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وشد قامته ، قائلاً :

- يبدو أن الأمر ليس بالبساطة التي تتصورها يا صديقي ، فالأمر لايتعلق الآن بصحتي ، ولا بأوامر الأطباء .. إنه أعقد وأخطر من هذا بكثير .

تساءل (أكرم) في توتر :

- أما زلت تصرّ على أن الدكتور (سمير) ...

قاطعه (نور) بمنتهى الحزم :

- إنه كذلك .

شد (أكرم) قامته بدوره ، وهو يقول :

- كنت أعلم أنه لا أحد في هذا العالم ، يمكنه أن يفعل بي ما فعله .

أشار (نور) بسبابته، قائلاً في حزم:

ـ ما فعله بك يعتبر أبسط ما يمكن أن ...

بتر عبارته بغتة، واتسعت عيناه عن آخرهما، فانتفض جسد (أكرم)، وهو يهتف:

ـ (نور) (نور) ماذا أصابك ؟!

كان من الواضح أن (نور) يعاني من شيء ما، فقد ارتسمت على وجهه أمارات فزع رهيب، وراح يلوّح بذراعه كلها، وشفتاه منفرجتان، وكأنما يعجز عن قول شيء ما، فأمسك (أكرم) كتفيه، وهو يهتف بكل انفعال الدنيا:

ـ (نور) ماذا بك بالله عليك ؟!

لوّح (نور) بذراعه مرة أخرى، هاتفًا:

ـ (سلوى) .. (نشوى) ..

ـ صاح (أكرم)، وقد بلغ انفعاله مبلغه:

ـ ماذا بهما يا (نور) ؟! ماذا بهما ؟!

ولم يجب (نور) ..

لم يستطع لسانه نطق حرف واحد ..

فما التقطه ذهنه، في تلك اللحظة، على نحو لم يدرك ماهيته قط، كان صورة مخيفة ..

رهيبة ..

إلى أقصى حد ..

وفي نفس اللحظة، التي رأى فيها عقله هذا، كانت (سلوى) و(نشوى) تعيدان اختبار تلك الإشارات العجيبة، التي سجلتها أجهزتهما، و(نشوى) تقول في حسم:

ـ لم تعد لدي ذرة واحدة من الشك .. تلك الإشارات قادمة من الفضاء .. من أعمق أعماق الفضاء ..

سألتها (سلوى) في قلق:

ـ هل يمكن أن تقطع الإشارات كل هذه المسافة، وتظل بهذه القوة ؟!

انفرجت شفتا (نشوى)، لتقول شيئاً ما، لولا أن انبعث من خلفها صوت هادئ، يقول:

ـ بتكنولوجيتكم مستحيل ..

استدارت الاثنتان في سرعة وفزع ، إلى مصدر الصوت ، واتسعت عينا (سلوى) عن آخرهما ، في حين هتفت (نشوى) في حدة عصبية :

- دكتور (سمير) .. كيف دخلت إلى هنا ؟!

كانت عينا الرجل تتألقان على نحو مخيف ، وهو يقترب منهما ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، قائلاً :

- لماذا يشغلكم جميعًا هذا السؤال السخيف ؟!

الانتقال عبر الزمان والمكان أمر ممتع ، ويتجاوز كل الحواجز والجدران والحدود .

ثم توقف ، مضيفًا بابتسامة رهيبة :

- ولكن تكنولوجيتكم لم تتوصل إليه بعد .

رددت (سلوى) بأنفاس مبهورة :

- تكنولوجيتنا ؟!

لم تنتبه وابنتها إلى أن أجهزتهما راحت تعمل بسرعة مخيفة ، وبرامجها تتداخل على نحو عجيب ، من خلف ظهريهما ، وهما تحدقان في وجه الدكتور (سمير) ، الذي ابتسم ، قائلاً :

- نعم يا سيدتي .. تكنولوجيتكم .. التي وضعت أصابعها على التو ، على ما تعتبره في عالمي تاريخًا علميًا قديمًا .

ثم مال نحوهما ، مضيفًا بلهجة مخيفة :

- على قوة العقل .

ارتجف صوت (سلوى) ، وهي تسأله :

- من .. من أنت بالضبط ؟! وكيف تتبعنا إلى هذا الحد ؟!

اعتدل الرجل ، والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول بعينين متألقتين :

- هذا ما أحاول كشفه بالضبط .

مع قوله ، أطلق أحد الأجهزة فجأة رنينًا متقطعًا ، جعل الاثنتين تلتفتان إليه بحركة حادة ، قبل أن تهتف (نشوى) في ارتياع :

- رباه ! إنه يتلف أجهزتنا ..

وثبت محاولة إطفاء الجهاز ، قبل أن يتلف تمامًا ، إلا أنه قفز من أمام يدها بحركة عجيبة ، كما لو أن الحياة قد دبت في دوائره الرقمية ، فشهقت متراجعة في فزع ..

ومع شهقتها ، راحت الأجهزة تعلن محو كل ما تحويه ، واحدًا بعد الآخر ، فصاحت (سلوى) في رعب :

ـ ما الذي تفعله بنا ؟!

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، وهو يجيب :

ـ معذرة يا سيدتي ، ولكن هذا ليس أمرًا شخصيًا .

كانت عبارته في نهايتها ، عندما شعرت كلتاهما بموجة هائلة من الطاقة تضرب دماغيهما ..

موجة أشبه بلطمة بالغة القوة ، أصابت مخيهما مباشرة ..

وشهقت (نشوى) ..

وصرخت (سلوى) ..

ثم سقطتا في مكانيهما أرضًا دفعة واحدة ..

ومع خيوط الدم ، التي سالت من أنفيهما ، كانت الأجهزة كلها تعلن أن كافة برامجها قد محيت ، ولم تعد تحوي دليلاً على ما حدث ..

أي دليل ..

على الإطلاق ..

* * *

٥ـ تاريخ ..

وحده راح قائد ذلك الكوكب الشبيه بالأرض ، ينطلق داخل مركبة كروية ، من مادة لها شفافية الزجاج ، وصلابة الفولاذ ، عبر ممر يشق منطقة الجبال ، المتاخمة لمدينته العظيمة ..

وبعد ست عشرة دقيقة ، من زمن ذلك الكوكب ، والذي يختلف بثوان قليلة عن زمننا الأرضي ، توقفت به تلك الكرة داخل فراغ هائل ، بدا وكأنه يحتل فراغ جبل بأكمله ..

ولدقيقة أو يزيد ، ظل القائد جالسًا داخل الكرة ، يتطلع في صمت إلى عشرات من أجهزة قديمة متهالكة ، بدت وكأنها ملقاة داخل ذلك الفراغ ، منذ آلاف السنين ..

ثم غادر مركبته ، وراح يتجول وسط الأجهزة ، داخل ذلك الفراغ ، الذي تضيئه كرات ضوئية حديثة ، تسبح بالقرب من سقفه ..

كانت الأجهزة متناثرة ..

متهالكة ..

متآكلة ..

إلا أنه راح يتطلع إليها في شغف عميق ، قبل أن يتوقف عند أحدها ، قائلاً :

- ترى أي سر تخفونه ؟! ومنذ متى تقبعون هنا ؟! قرن كامل من الزمان مضى ، منذ كشف وجودكم ، ولم نعلم بعد من أتى بكم ؟! وكيف ؟!

كان من الواضح أن الشغف يغمر نفسه ، لمعرفة سر تلك الأجهزة ، التي كشفتها بعثة أثرية ، منذ قرن كامل ، داخل الفراغ الصناعي ، في قلب أحد الجبال ..

وأنه يجهل ماهيتها تماماً ..

فمن المؤسف أن أجداده القدامى قد اهتموا ببناء حضارتهم وتطويرها ، بأكثر مما اهتموا بتدوينها .

لذا ، فما زالت لديهم فجوة هائلة ، في مسار تاريخهم ..

لا أحد منهم يعلم كيف كانت البداية ..

أو متى ..

كل ما يعلمونه ، أن تاريخهم المكتوب قد تم رصده وتدوينه ، مع تطور العلوم فحسب ..

ولا أحد حتى يعلم لماذا ؟!

لماذا تم تجاهل تدوين التاريخ على هذا النحو ؟!

ولقد تقبل عالمه هذا ، وتعايش معه لمئات السنين ، حتى تم كشف ذلك التجويف الصناعي ، وما يحويه من أجهزة ..

فوفقاً لتقارير الخبراء ، تقبع تلك المعدات القديمة ، في ذلك التجويف ، منذ آلاف السنين ..

ولكن تكنولوجيتها كانت تنتمي إلى قرنين من الزمان فحسب ..

وهذا أكبر لغز واجهه كوكبه ..

اللغز الأكبر ، هو أن ماتبقى من تلك الأجهزة يحمل عبارات ، بلغة تقارب اللغة التي يتحدثون بها بالفعل ..

وهذا يعني أنها تنتمي إليهم ..

على نحو ما ..

فكيف ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

ومنذ تولى القيادة ، اعتبر أن معرفة سر تلك الأجهزة ، هو أحد أسباب وأهداف حياته ..

ولقد منح الدارسين كل الإمكانيات المطلوبة ..

كل التسهيلات ..

والاعتمادات ..

والسلطات ..

ولكن برامج الأجهزة كلها كانت تالفة ، على نحو لا يمكن إصلاحه ..

مهما كانت الاعتمادات ..

لذا فقد بقى الأمر لغزًا ..

لغز لم يمكن سبر أغواره أبدًا ..

حتى تم كشف وجود كوكب الأرض ، أو (بلوكا) ، كما يطلقون عليه في عالمه ..

وكشف مخلوقاته العاقلة ..

المتطورة ..

المتطابقة معهم ..

تقريبًا ..

عندئذ قفز إلى ذهنه تساؤل ..

ماذا لو ...

ولم يكتمل ذلك التساؤل أبدًا ..

فقد كان لا بد من التيقن أولاً ..

التيقن تمامًا ..

ولهذا كانت المهمة ..

وكان إرسال (سويز) ..

لمعرفة الجواب ..

وبأى ثمن ..

أى ثمن ..

على الإطلاق ..

* * *

« حالة ارتجاج عنيف في المخ .. »

نطق طبيب قسم الطوارئ العبارة ، وهو يثبت أجهزة الإعاشة ، في جسد (سلوى) ، و (أكرم) يقول في غضب :

ـ ذلك الوغد .. لو أنني وضعت يدي عليه ، فأقسم أن ..

استوقفه (نور) بإشارة صارمة متوترة من يده ، وهو يسأل الطبيب :

ـ أليس من العجيب أن تصاب ابنتي وزوجتي بارتجاج عنيف في المخ ، في آن واحد ؟

أجابه الطبيب في حيرة :

ـ هذا عجيب بالفعل أيها المقدم ، خاصة وأننا قد فحصنا رأسيهما جيدًا ، بحثًا عن أية إصابات ، تبرر إصابتيهما ، إلا أننا لم نجد أثرًا لأية إصابات ، باستثناء ما أصابهما مع السقوط .

شعر (نور) بغصة في حلقه ، وهو يتساءل :

ـ وهل .. هل ستتجاوزان هذا ؟!

هزّ الطبيب رأسه ، وزفر في توتر ، مجيبًا في خفوت :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا .

كان الجواب مقلقًا للغاية ، حتى إن (نور) قد شعر بغضب هائل حزين ، يجتاح مشاعره كلها ..

ابنته وزوجته تواجهان خطر الموت ..

أو العجز ..

أو الضياع في غيبوبة عميقة دائمة ..

وهو عاجز عن إيجاد دليل .

دليل واحد ، يكفي لإدانة المسئول عن هذا ..

« لن أنتظر أدلة يا (نور) .. »

نطق (أكرم) العبارة فجأة ، وهو يسحب مسدسه ، ويشد مشطه في غضب ، فالتفت إليه (نور) ، قائلاً في دهشة :

ـ لماذا قلت هذا ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يلوّح بمسدسه في صرامة :

ـ كنت تتحدث عن الأدلة ، و ...

قاطعه (نور) ، في اهتمام متوتر :

ـ إنني لم أقل شيئًا .

حدق فيه (أكرم) بمنتهى الدهشة، مغمغمًا:

- ولكنني سمعتك في وضوح يا (نور).

انعقد حاجبا (نور) في شدة والعبارة تتردد في رأسه.

« سمعتك في وضوح .. »

« سمعتك .. »

« سمعتك .. »

وفجأة، أمسك كتفي (أكرم) في قوة، قائلاً:

- (أكرم) .. ذلك الجهاز فعل شيئًا ما بعقلي.

تحبست أنفاس (أكرم)، وهو يسأله:

- أي شيء يا (نور) ؟!

هز (نور) رأسه، وهو يقول في حيرة:

- لست أدري يا صديقي .. لست أدري.

مع قوله، ونظرة الحيرة في عيني (أكرم)، اندفع (رمزي) داخل المكان، وهو يقول في اضطراب:

- ماذا أصاب (سلوى) و(نشوى) ؟!

التفت إليه (نور)، وقال محاولاً تهدئته:

- الأطباء يولونهما كل الرعاية يا (رمزي).

صاح (رمزي) بكل الغضب:

- ذلك الوغد .. إنه يسعى لتصفيتنا جميعًا بلا رحمة .. أولاً السيد (أمجد)، ثم ...

لم يكد يأتي على ذكر (أمجد)، حتى انتفض جسد (نور) في عنف، وهو يقول:

- ماذا أصاب السيد (أمجد) ؟!

أجابه (رمزي) في مرارة:

- أصابته رصاصة في صدره، والأطباء يحاولون جاهدين إنقاذ حياته الآن، و ...

قاطعه (أكرم)، وهو يهتف في غضب هادر:

- يا للوغد!

نطقها، ثم اندفع يعدو عبر ممر المستشفى، فهتف به (نور):

- (أكرم) .. انتظر ..

ولكن (أكرم) لم يتوقف ..

كان الغضب قد سرى في كيانه كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، حتى أعمى عقله تماماً عن التروى والتفكير ..

إلا (أمجد) ..

إلا أستاذى ، الذى يقدره ويحترمه ، على نحو لم يحدث من قبل ..

إنه لن ينتظر أدلة أو براهين ..

ذلك الوغد أصاب (أمجد) و (سلوى) ، و (نشوى) ..

ولابد وأن يدفع الثمن ..

دون أدلة ..

ودون انتظار ..

كان يعدو حاملاً مسدسه ، مما أثار موجة من الذعر فى المستشفى ، ولولا أن رجال الأمن كانوا يعلمون هويته ، لانقضوا عليه بلا روية ..

ومن حسن حظهم أنهم لم يفعلوا ..

ففى ظروف كهذه ، لم يكن (أكرم) ليسمح لأى مخلوق باعتراض سبيله ..

أية مخلوق ..

على الإطلاق ..

وبكل انفعاله وغضبه ، وثب داخل سيارته التقليدية ، ومد يده ليدير محركها ، و ...

« لماذا تأخرت ؟! »

أتى الصوت من خلفه مباشرة ، بلهجة ساخرة صارمة ، فرفع عينيه إلى مرآة السيارة الداخلية بحركة حادة ..

ورآه ..

رأى الدكتور (سمير) ، يجلس فى المقعد الخلفى ، مبتسماً فى سخرية ، وعيناه تلتمعان على نحو عجيب ..

وبكل توتره ، وعلى الرغم من المفاجأة ، استدار (أكرم) بمسدسه إلى خصمه الرهيب ، و ...

وفجأة ، حدث ما حدث ..

لقد شعر وكأنما ارتطم بحاجز خفى قوى ..

ثم ارتد جسده بعنف ..

بمنتهى العنف ..

ومع ارتداده ، اصطدم صدره بعجلة القيادة ..

وسمع صوت أضلاعه تتحطم ..

ثم غامت الدنيا أمام عينيه ..

وسقط .

سقط إلى الأمام ، وضغط جسده على النفير ، الذى انطلق فى قوة ، و(نور) و(رمزى) يعدوان نحو السيارة ..

أما جسد الدكتور (سمير) ، فقد راح يتلاشى ..

ويتلاشى ..

ويتلاشى ..

* * *

انعقد حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى توتر ، وهو يواجه (نور) و(رمزى) فى حجرته ، قائلاً :

ـ ما تقولانه خطير للغاية ، وليس لديكما دليل واحد على صحته .

شد (نور) قامته ، وهو يقول :

ـ أنا واثق مما أقول ياسيدى .

هز القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

ـ وأنا واثق من أنك تعنى ما تقول يا (نور) ، ولكن الدكتور (سمير) رئيس مركز الأبحاث ، وهذا منصب رفيع للغاية ، ويعنى تحريات أمنية مكثفة ، وثقة لاتتطرق إليها ذرة واحدة من الشك ، قبل أن يتبوأ منصبه .

قال (نور) فى حذر :

ـ سيدى القائد الأعلى .. الأمر أخطر من أن نعيقه مجموعة من الإجراءات الروتينية .. إننا نواجه خصمًا لايعرف الرحمة أو الشفقة ، ولقد تسبب بالفعل فى مجموعة من الكوارث الأمنية ، وفى إصابة السيد (أمجد) ، وزوجتى ، وابنتى ، وزميلى (أكرم) ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم من يمكن أن يصاب ، لو انتظرنا أكثر .

تطلع إليه القائد الأعلى بضع لحظات فى قلق ، قبل أن يميل إلى الأمام ، قائلاً :

فى توتر :

- الواقع أننا قد واجهنا الدكتور (سمير) باتهاماتكم هذه ، بعد إصابة السيد (أمجد) ، وقمنا بفحص حمضه النووى ، ولكنه تطابق مع المسجل فى ملفه تمامًا .

تساءل (نور) :

- وماذا لو أن المسجل فى ملفه قد تم العبث به ، ليتطابق مع عينة الحمض النووى لذلك الذى نعتبره الدكتور (سمير) .

أشار القائد الأعلى بكفه ، قائلاً :

- العبث بملف أمنى ليس أمرًا هينًا أيها المقدم ، وأنت خير من يعلم هذا .

قال (نور) فى حزم :

- ربما ينطبق هذا على عالمنا وحده يا سيدى .

سأله القائد الأعلى فى قلق :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه فى حزم أكثر :

- أعنى أنه لو أتى ذلك الشخص من عالم يفوقنا تقدمًا ، فلن يصعب عليه العبث بأنظمتنا كلها ، التى ستبدو بالنسبة إليه تكنولوجيا متخلفة بسيطة ، مهما بلغ تعقيدها بالنسبة لنا .

كان الاحتمال واردًا ومخيفًا ، حتى إن القائد الأعلى قد تراجع فى مقعده ، وداعب ذقنه بسبابته وإبهامه فى توتر ، قبل أن يقول :

- وكيف يمكن حسم أمر كهذا ؟! لا يمكننى تقديم مسئول أمنى للمحاكمة ، أو توجيه أى اتهام إليه ، دون دليل إدانة واحد .. ولا تنس أنه سيدافع عن نفسه بإثارة الشبهات حولك شخصيًا يا (نور) ، خاصة وقد سبق له اتهامك بأنك المسئول عن كل ما أصاب نظمنا الأمنية ، بل وشكك فى هويتك العقلية أيضًا .. سيقول مستندًا إلى الإشارات التى سجلها مخك ، أثناء وقوعك فى غيبوبتك إنك تحاول إزاحته عن الطريق ؛ لأنه كشف أمرك ، ستصبح كلمتك مقابل كلمته ، ومصداقيتك مقابل مصداقيته ، ولديه قرائن ومستندات ، تفتقر أنت إليها .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى توتر :

– إذن فسأتحول أنا إلى متهم ، وسيصبح هو جهة الاتهام .

أشار القائد الأعلى بيده ، مجيبًا :

– بالضبط .

أدار (رمزى) عينيه بينهما ، ثم قال فى حزم :

– وماذا لو أنه لدينا دليل بالفعل ؟

التفت الاثنان إليه ، وتساءل القائد الأعلى فى لهفة :

– أى دليل هذا ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة :

– ملفه النفسى .

انعقد حاجبا القائد الأعلى بنظرة متسائلة ، فتابع (رمزى) :

– لقد راجعت ملفه النفسى القديم ، ووجدت تعارضًا شديدًا ، بينه وبين الطبيعة النفسية ، للرجل الذى واجهته بنفسى ، والذى يحمل هوية الدكتور (سمير) .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده فى بطء ، فى حين انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدرس ما قاله (رمزى) ، قبل أن يقول القائد الأعلى :

– لست أظن هذا دليلاً قويًا .

هتف (رمزى) معترضًا :

– وكيف هذا ؟! إننى خبير نفسى معتمد ، وعضو فى فريق (نور) ، وشهادتى لها وزنها ، فى كل المحافل العلمية .

وافقه القائد بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

– لست أنكر كل هذا ، ولكن تغير الحالة النفسية للمرء أمر وارد ، وقد يتسبب فى إعفاء الرجل من منصبه ، ولكن ليس فى اعتقاله ، أو توجيه اتهامات إليه .

قال (رمزى) معترضًا :

– ولكن يا سيدى ..

قاطعه (نور) ، قائلاً :

– القائد الأعلى على حق .

التفت إليه (رمزى) مستنكرًا، فتابع بكل الحزم :

- ولكن ما توصلت إليه نبهنى إلى نقطة أخرى .. نقطة قد تحسم هذا الصراع تمامًا ..

لحظتها بدت كلماته غامضة ..

للغاية ..

* * *

استقبل الدكتور (محمد حجازى)، كبير الأطباء الشرعيين (نور) بابتسامة هادئة، وهو يشير بيده، قائلاً :

- حمدًا لله على سلامتك يا (نور) .. لقد فوجئت بالفعل باتصالك بى، و...

قاطعه (نور) فى توتر :

- معذرة لمقاطعتك يا دكتور (حجازى)، ولكننى أتيت فى أمر عاجل للغاية .

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

- أهو يخص تلك العينة، التى أرسلها لى السيد (أمجد)، لفحص حمضها النووى ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

- هل أنهيت فحصها بالفعل ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا، وهو يقول :

- الأمر يستغرق لحظات فى عصرنا هذا يا (نور)، ولقد أنهيت الفحص بالفعل، ووجدت تطابقًا تامًا، مع أحد الملفات الأمنية .

قال (رمزى) فى توتر :

- ملف الدكتور (سمير) .

أدار الدكتور (حجازى) عينيه إليه فى حيرة، وهو يقول :

- بالضبط .. حتى إننى لا أدرى لماذا تم إرسالها إلىّ بالتحديد، فأى معمل بسيط، كان يمكنه التوصل إلى النتيجة نفسها .

قال (نور) فى حزم :

- هذا صحيح ، ولكنني لا أطلب النتيجة ، التي يمكن أن يمنحني إياها أي معمل بسيط .

التقط الدكتور (حجازي) نفسًا متوترًا ، قبل أن يسأله :

- ما الذي تنشده بالضبط يا (نور) ؟!

شد (نور) قامته ، مجيبًا :

- فحصًا جينيًا شاملاً ، مع مقارنة النتائج بالمسجل في الملفات ، لوالدي الدكتور (سمير) .

تراجع الدكتور (حجازي) في دهشة ، قائلاً :

- (نور) .. لست أظنها قضية إثبات بنوة ؟!

أجابه (نور) :

- بل هي كذلك في الواقع يا دكتور (حجازي) ، فالرجل الذي ينتحل هيئة وشخصية الدكتور (سمير) كما تظن ، أمكنه بوسيلة ما أن يخترق شبكة المعلومات الأفقية ، ويستبدل المواصفات الجينية للدكتور (سمير) الأصلي ، بمواصفاته هو .

اتسعت عينا الدكتور (حجازي) ، وهو يردد :

- ينتحل هيئة وشخصية الدكتور ؟!

غمغم (رمزي) :

- ونشك أيضًا في أنه من خارج عالمنا .

اتسعت عينا الدكتور (حجازي) أكثر ، فقال (نور) في توتر :

- فلنؤجل الدهشة لما بعد يا دكتور (حجازي) ، وأعدك أن أروي لك القصة كلها فيما بعد ، أما الآن ، فمصير العالم كله قد يتوقف على دقيقة نضيعها .

اعتدل الدكتور (حجازي) ، قائلاً في حزم :

- فليكن .

قالها ، وأسرع يعيد فحص العينة ، ويزود الكمبيوتر بالبيانات الجديدة الأكثر دقة ، ثم ضغط زر تشغيل جهاز الفحص ، والتفت إلى (نور) ، يسأله بكل الاهتمام :

- ما نظرتك بالضبط يا (نور) ؟!

تعلق نظر (نور) بجهاز الفحص ، وهو يجيب :

- في البداية ، كنت أتصور أن ذلك الشيء قد أحسن تحوير ملف الدكتور (سمير) ، وأننا لن نجد فيه لمحة واحدة ، يمكن أن تكشف هويته الحقيقية ، حتى انتبه (رمزي) إلى أن الملف النفسي له لم يتغير ، وهنا تساءلت : ماذا أيضًا لم يتغير ، ثم افترضت أنه قد أبدل مواصفات الدكتور (سمير) الجينية ، ولكنه لم يهتم بإبدال المواصفات الجينية لوالديه ، ولما كان ملفه يؤكد أنه ليس طفلاً متبنى ، فلو لم تتطابق نصف مواصفات عينته ، مع أحد والديه ، فسيصبح هذا دليلاً على أن الموجود حاليًا ليس الدكتور (سمير) الذي نعرفه .

حدق فيه الدكتور (حجازي) لحظة ، ثم تمتم مبهورًا :

- عبقري كعهدي بك يا (نور) .

ثم أدار عينيه بدوره إلى الجهاز ، الذي أطلق أزيزًا خافتًا ، معلنًا انتهاء الفحص ، فخفق قلب (رمزي) بشدة ، وانعقد حاجبا (نور) ، في حين غمغم الدكتور (حجازي) في توتر :

- عجبًا ! الجهاز يعجز عن العثور على المواصفات الجينية لوالدي الدكتور (سمير) .

هتف (رمزي) في حنق :

- لقد انتبه الوغد لما يمكن أن نلتقطه ، ومحا مواصفاتهما ؛ ليمنع إجراء الفحص المقارن .

تراجع (نور) في توتر شديد ، وقد تضاعف انعقاد حاجبيه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

فالواقع إن هذه كانت محاولته الأخيرة ..

ولقد خسرها ..

خسر فرصته في كشف هوية خصمه ..

ومواجهته ..

واتهامه ..

وكان هذا يعني أنه يخسر أهم معركة في حياته ، و...

« عجبًا ! » .

اعتدل (نور) بحركة حادة، عندما نطق الدكتور (حجازى) الكلمة، وانتبهت حواسه كلها، وهو يتساءل:

- هل توصل الجهاز إلى أمر ما؟!

أدار الدكتور (حجازى) عينيه إليه، مجيبًا:

- الجهاز توصل إلى أمر عجيب يا (نور).. عجيب للغاية.

وخفق قلبا (نور) و(رمزى)..

بمنتهى العنف.

* * *

٦ - لعبة زمن..

ارتياح شديد، غمر كيان القائد كله، عندما أخبره مستقبل الاتصالات العقلية الفائقة، بما آل إليه الأمر فى (بلوكا)..

فى أرضنا..

وبكل ذلك الارتياح، قال:

- إذن فقد تخلص (سوبز) بالفعل من تسعة أعشار الخطر، الذى يتهدد مهمته.

تردد الرجل لحظة، قبل أن يقول فى حذر:

- هذا يتوقف على طريقة حساب الأمور أيها القائد.

ضاقت عينا القائد، وهو يسأل:

- ماذا تعنى؟!

تردد الرجل لحظة أخرى، قبل أن يندفع، قائلاً:

- الخبراء هنا لايعتبرون التخلص من ذلك الآلى، يمثل معظم العملية أيها القائد؛ فوفقًا لملاحظات رجلنا، يعتبر قائد تلك المجموعة العلمية هو الأكثر خطورة.

انعقد حاجبا القائد، وهو يقول فى توتر:

- وكيف هذا ؟! إنه مجرد رجل واحد.

قال الرجل فى سرعة:

- ولكن ملف انتصاراته بحجم جيش كامل.

تراجع القائد فى مقعده، وراح يحك ذقنه بضع لحظات، قبل أن يقول فى قلق:

- ولماذا لم يقض عليه (سويز) ؟!

قال الرجل فى حذر:

- من المؤكد أن لديه أسبابه.

زمجر القائد، قائلاً فى غضب:

- فليبد أسبابه تلك إذن، أو فلينفذ مهمته دون إبطاء، ويبلغنا بالنتائج فورًا.

أومأ الرجل برأسه، قائلاً:

- كما تأمر أيها القائد .. كما تأمر.

قالها، واندفع إلى حجرة الاتصالات العقلية الفائقة؛ ليبث الأوامر إلى أخطر العملاء ..

أوامر القضاء على (نور) ..

تمامًا ..

* * *

«ما الذى توصل إليه الجهاز بالضبط ؟!»

ألقى (نور) سؤاله، على كبير الأطباء الشرعيين، بكل لهفة الدنيا، فاعتدل الرجل، وأجاب فى توتر، يوحى بغرابة النتيجة، التى حصل عليها، على الرغم من خبرته الطويلة:

- عندما نقوم بفحص عينة أنسجة، لاستخلاص مواصفات الحمض النووى، تتجه معظم البرامج الذكية الحديثة إلى اختصار وقت البحث، عن طريق الاقتصار على الأحياء،

والموتى فى حدود عشرة أعوام ماضية فحسب ، ما لم يتم تحديد غير هذا ، وحتى بعد التطوير ، يتم توسيع دائرة البحث ، إلى كل الملفات المسجلة ، ولكننى فى هذه المرة ، طلبت إجراء فحص شامل كامل عالمى ، بحيث تشمل دائرة البحث كل عينة جينية مسجلة ، فى أى مكان فى العالم .

تساءل (نور) فى توتر :

- وهل أسفر هذا عن نتائج أخرى ؟!

اعتدل الدكتور (حجازى) ، وبدا متردداً لحظة ، قبل أن يجيب :

- نعم يا (نور) .. الفحص أجرى مقارنة ، بين بعض الجينات فى العينة ، وجينات أخرى مسجلة ، فى متحف التاريخ الطبيعى ، بالولايات المتحدة الأمريكية .

غمغم (رمزى) فى دهشة :

- متحف التاريخ الطبيعى ؟!

أما (نور) ، فقد أرهف سمعه تماماً ، وانعقد حاجباه فى شدة ، والدكتور (حجازى) يضيف ، فى صوت مرتجف ، من فرط الانفعال :

- نعم .. مع إنسان الجليد .

تراجع (نور) بحركة حادة ، فى حين قال (رمزى) بمنتهى الدهشة :

- إنسان الجليد ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجاباً ، وقال موضحاً :

- نعم .. إنه آدمى ، من عصور ما قبل التاريخ ، تم العثور على جسده كاملاً ومجمداً تماماً ، منذ بضع سنوات ، فى شمال (ألاسكا) (*) ، ولقد أثبت فحص حمضه النووى ، حدوث تغيرات جينية طفيفة ، فى النسيج البشرى ، عبر القرون .

(*) ألاسكا : ولاية شمال غرب (أمريكا الشمالية) . أصبحت الولاية الأمريكية التاسعة والأربعين ، عام ١٩٥٨م ، تضم جزر (ألوشيان) ، وجزر (بريبلوف) ، وجزيرة (كودياك) ، وجزيرة (سانت لورنس) .

تراجع (نور) ، متسائلاً في دهشة عصبية :

ـ هل تعنى أن الحمض النووى لعينة أنسجة الدكتور (سمير) ، يتشابه مع تلك التغيرات الطفيفة ، الموجودة في أنسجة إنسان الجليد .

أوما الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ ليس هذا فحسب يا (نور) ، ولكن تلك التغيرات لم تتشابه أيضًا ، مع أية عينة أخرى ، في العالم كله .

اتسعت عينا (نور) و(رمزى) ، وغمغم الأخير بصوت متخاذل :

ـ دكتور (حجازى) .. لاتقل لى إن هذا يعنى أن ذلك الذى ينتحل شخصية الدكتور (سمير) قد جاء من .. من ..

قاطعه الدكتور (حجازى) ، بصوت أكثر انفعالاً :

ـ نعم يا (رمزى) .. لقد جاء من ماضينا .. ماضينا السحيق .

ومرة أخرى ، تفجرت الدهشة ..

بلاحدود ..

* * *

مع تلقى أوامر كوكبه ، بالقضاء على (نور) فورًا ، انعقد حاجبا الدكتور (سمير) ، بكل توتر الدنيا ، وهو يتراجع في مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، مفكرًا في عمق ..

إنه أحد أبرز رجال الأمن في عالمه ، وأكثرهم براعة وقوة ..

ولأنه كذلك ، فهو يحترم كل رجال الأمن ..

مهما كانت جنسياتهم ..

أو عوالمهم ..

ولكنه ليس قاتلاً ..

حتى في مواجهاته مع (نور) وفريقه ، حرص على ألا يقتلهم ..

فقط أصابهم إصابات عنيفة ، تكفي لإيقاف نشاطاتهم المتقدمة ، قبل أن يفسدوا مهمته ..

أما الأوامر المباشرة ، التي تلقاها بشأن (نور) ، كانت تطالبه بالقتل ..

دون رحمة ..

أو شفقة ..

أو روية ..

أو تفكير ..

فقط أن يقتل ..

وهذا يملأ نفسه بتوتر غير محدود ..

فـ (نور) بالنسبة إليه ، كان رمزًا محترمًا لرجل الأمن ..

وهو يكره قتل مثل هذا الرمز ..

ويكره أكثر أن يتجاوز أوامر قائده ..

ومصالح عالمه ..

لقد قضى فترة طويلة في الأرض ، يسعى لكشف ما يربطها بكوكبه ، حتى اعتادها ..

وألفها ..

وأحبها ..

إلا أنه لم يسبر شيئًا من تاريخ بني جنسه عليها قط ..

ما زالت هناك نقاط غامضة ..

مبهمة ..

مفقودة ..

فوفقًا للمنهج العلمي ، يبدو أن الكوكبين ينتميان إلى أصول واحدة ..

أصول متطابقة ، بنسبة سبعة وتسعين في المائة ..

وهو يبحث عن الثلاثة في المائة المتبقية ..

عن الأصول ..

والتاريخ ..

والروابط ..

ولكن (نور) اقتحم عقله لسبب ما ..

وكشف أمره ..

وأجبره على تغيير مسار مهمته ..

وتحوير هدفه الرئيسي ..

وهذا يعني حتمية أن يقاتل ..

ويقتل ..

وإلا اضطر إلى اللجوء إلى الخيار الأخير ..

والوحيد ..

فما دامت الأرض تهدد تفوق عالمه ، فعليه أن يسعى لإزاحتها عن الخريطة الكونية بأكملها .

أو بمعنى أدق ، عليه أن يدمرها تمامًا ..

وأيضًا بلا رحمة ..

* * *

«وهل قررت أن تواجهه يا (نور) ؟!»

ألقى (رمزى) سؤاله في توتر ، و(نور) ينطلق معه بسيارته ، عبر شوارع (القاهرة الجديدة) ، في طريقهما إلى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، فأجابه (نور) في حزم :

ـ لست أظن هذا إجراءً صحيحًا ، في ظروف كهذه .

تساءل (رمزى) في حيرة :

ـ لماذا نتجه إلى مركز الأبحاث إذن ؟!

صمت (نور) لحظة ، ثم أجابه :

ـ بطاقاتنا الأمنية ، غير القابلة للتزوير ، تسمح لنا بتجاوز كل مستويات الأمن ، في مركز الأبحاث .

غمغم (رمزى) ، في حذر قلق :

ـ هذا صحيح .

أجابه (نور) :

ـ سنستغل هذا إذن ، لاستعارة جهاز متقدم .

سأله (رمزى) في توتر :

- أى جهاز هذا ؟!

صمت (نور) لحظة أخرى ، ثم قال فى حزم :

- جهاز الفحص العقلى .

هتف (رمزى) :

- الذى استخدمه معك فى المستشفى ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

- بالضبط .

حدق فيه (رمزى) بضع لحظات فى دهشة ، قبل أن يتساءل :

- هل ترغب فى فحصه يا (نور) ؟!

هز (نور) رأسه نفيًا ، مجيبًا :

- بل أنوى استخدامه .

انتفض جسد (رمزى) ، وهو يتساءل فى ذعر :

- استخدامه ؟! كيف ؟!

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب فى حزم :

- فى المرة السابقة ، عندما استخدمت ذلك الجهاز ، انطلق عقلى بلا حدود ، وتجاوز كل المستويات .

هتف (رمزى) :

- وكاد يقتلك أيضًا يا (نور) .

قال (نور) فى حزم أكثر :

- هذا مجرد احتمال .. تمامًا مثل احتمال أن يمنحنى قوة عقلية ، تجعلنى قادرًا على مواجهة ذلك الشىء .

حدق فيه (رمزى) مرة أخرى ، ثم هز رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لا يا (نور) .. لن أسمح لك باستخدام ذلك الجهاز أبدًا .

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يقول :

- وفقًا لمستويات القيادة ، أظن أن هذا ليس من حقك يا (رمزى) .. كل ما تملكه هو خيار واحد .. هل ستعاوننى فى تنفيذ خطتى ، أم أقوم بها وحدى ؟!

وعض (رمزى) شفتيه فى توتر بالغ ..

فمع طول عمله مع (نور)، أدرك تمامًا أنه لا يتخذ قراراته إلا عن اقتناع تام ..

وأنه لا يتراجع عنها قط ..

مهما كانت الأسباب ..

ومهما كانت النتائج ..

لذا، فعلى الرغم من عدم اقتناعه بالفكرة، أجاب :

ـ أنا معك دائمًا يا (نور).

ولم يتبادلا بعدها كلمة واحدة، حتى بلغا مركز الأبحاث ..

وكما قال (نور)، سمحت لهما بطاقتيهما الأمنيتين ببلوغ كل المستويات، حتى التقيا برئيس قسم الأبحاث العقلية، والذى استقبلهما بتوتر حقيقى، ودهشة قلقة، وهو يقول :

ـ سيادة المقدم (نور)، لقد أخبرونا أن ..

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ أين الجهاز الذى استعاره الدكتور (سمير) ؟!

قال الرجل فى دهشة :

ـ جهاز فحص الموجات العقلية ؟!

كرر (نور) فى صرامة :

ـ أين هو ؟!

هز الرجل كتفيه، قائلاً :

ـ فى مكتبه .. إنه لم يعده بعد، وربما ..

مرة أخرى قاطعه (نور)، قبل أن يتم عبارته ..

ولكنه لم يقاطعه بالكلمات ..

وإنما بالحركة ..

فدون انتظار، انطلق مع (رمزى) نحو مكتب الدكتور (سمير)، فى الطابق الرابع من المبنى ..

وفى حجرته، وعلى شاشة راصده الخاص، شاهد ما الرجلان يتجهان إليه ..

وانعقد حاجباه في صرامة ..

ولكنه لم يغادر مقعده ..

لقد ظل جالسًا ..

هادئًا ..

صارمًا ..

مترقبًا ..

وعند باب مكتبه ، استوقفه حارساه الخاصان (نور) و(رمزى) ، وقال أحدهما في صرامة :

ـ معذرة يا سيادة المقدم ، ولكن صلاحياتك الأمنية لا تسرى هنا ، فلا بد من ..

قبل أن يتم عبارته ، وثب (نور) بركلة في فكه ، قائلاً في صرامة :

ـ وبدلاً عن صلاحياتى الجوية .

سقط الحارس أرضًا ، في نفس الوقت الذى سحب فيه زميله مسدسه الليزرى ، هاتفًا :

ـ رباه !ماذا تفـ ...

أخرسه (نور) بلكمة قوية ، في أنفه مباشرة ، قبل أن ينقض على باب حجرة الدكتور (سمير) ، قائلاً :

ـ أعلم أنكما تؤديان واجبكما ، ولكن ...

توقف ليطلق أشعة مسدسه الليزرية على رتاج الباب ، ثم يركله بقدمه ، مضيفًا في أسى :

ـ للضرورة أحكام ..

اقتحم المكتب مع (رمزى) ، وكلاهما يحمل مسدسًا ليزريًا ، و ...

« رائع .. »

استقبلهما الدكتور (سمير) بهذه الكلمة الهادئة ، وهو يصفق بكفيه في بطء ، قبل أن يضيف في ثقة ، وبلا مبالاة كاملة :

- نشاط جسدي مدهش بحق ، بالنسبة لرجل عاد إلى وعيه منذ ساعات قليلة ، بعد غيبوبة عميقة .

رصدت عينا (نور) جهاز الفحص العقلي أولاً ، قبل أن يصوب مجسه إلى رأس الدكتور (سمير) ، قائلاً في صرامة :

- لم يحن الوقت بعد ؛ لتنزع عنك هذا القناع الزائف ، وتُرينا وجهك الحقيقي .

ابتسم الرجل في سخرية ، قائلاً :

- وما الذي تتوقع رؤيته عندما أفعل ؟! بشرة خضراء ، وهوائي على الرأس ؟!

قال (نور) صارماً :

- أخبرنا أنت ما الذي نتوقع رؤيته ؟!

هز الرجل كتفيه في لامبالاة ، قائلاً :

- وجه بشري .

اندفع (رمزي) يقول في انفعال :

- من ماضينا السحيق .

نجحت العبارة في جذب انتباه الرجل بشدة ، وهو يعتدل متسائلاً في اهتمام بالغ :

- من ماضيكم السحيق ؟! ما الذي يعنيه هذا ؟!

بدا شغوفاً بالمعرفة بالفعل ، حتى إن (نور) قد عقد حاجبيه في توتر ، في حين أجاب (رمزي) بنفس انفعاله :

- هكذا أكد الفحص الشامل المقارن ، لأنسجتك وحمضك النووي .. لقد تشابه كثيراً ، مع أنسجة إنسان الجليد ، الذي عثر عليه في ...

بتر عبارته بغتة ، عندما لاحظ أن الرجل يستمع في شغف حقيقي ، فغمغم الدكتور (سمير) في اهتمام :

- ماضيكم السحيق ؟! أمن الممكن أن ...

بتر عبارته بدوره ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول ، قائلاً بمنتهى الصرامة :

- أشكركم على منحى طرف الخيط .. هذا سيصنع فارقًا كبيرًا بالفعل ..

ثم قسا صوته بشدة ، وهو يضيف :

- بعد أن أزيحكما عن طريقى ..

لم تكن عبارته قد اكتملت ، عندما هتف (نور) فجأة :

- الآن يا (رمزى) .

وبوثبة مباغتة ، انقض (رمزى) على الدكتور (سمير) ، الذى استدار إليه بكيانه كله ، قائلاً فى غضب :

- يا للسخافة !

ومع قوله ، شعر (رمزى) بلطمة قوية على عقله عكست انقباضته فى عنف ..

وبكل القوة ، تراجع جسده عبر باب الحجرة ..

ثم سقط أرضًا ..

وعندما استدار الدكتور (سمير) ، ليواجه (نور) ، فوجئ بأن هذا الأخير قد وضع الجهاز على رأسه بالفعل ، وهو يضغط زر تشغيله ، قائلاً :

- خدعة قديمة ناجحة يا هذا .

صاح الدكتور (سمير) ، وهو يرفع يده نحوه :

- لا .. إياك أن ...

ولم يسمع (نور) باقى العبارة ..

ولم يسمعه ، لأنه شعر بذلك التدفق العقلى الرهيب يضرب دماغه ..

بمنتهى العنف ..

ثم انطلق عقله ..

انطلق بعنف يفوق عنف انطلاقته الأولى بمرتين على الأقل ..

هذا لأن الدكتور (سمير) لم يترك الجهاز كما هو ..

لقد أجرى عليه تعديلاً ..

تعديلاً جوهرياً .

وقاتلاً ..

* * *

٧- وثبــــة ..

على عكس المرة السابقة ، لم يطلق (نور) صرخة واحدة ..

فجأة ، وجد نفسه فى ذلك الفراغ الهائل ..

وفجأة أيضاً ، ظهر (محمود) أمامه ، وهو يقول فى قلق :

- انطلاقتك كانت عنيفة هذه المرة يا (نور) .

غمغم (نور) :

- ولكن من الواضح أنها قادتنى إلى المكان نفسه يا صديقى .

هز (محمود) رأسه نفياً ، وهو يقول :

- هذا ليس مكاناً يا (نور) .. إنه نقطة اتصال فحسب .

تساءل (نور) :

- ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه في اهتمام :

ـ عقلك مازال ينطلق في مساره يا (نور) ، عبر الفضاء والزمان والمكان ، ولكن انطلاقته هذه تسمح لي بإجراء اتصال مباشر معك فحسب .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتمتم :

ـ أتعني أننا لسنا هنا فعليًا ؟!

أشار (محمود) إلى رأسه ، مجيبًا :

ـ إننا هنا يا صديقي .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ فهمت .

ثم تساءل في قلق :

ـ ولكن أيعني هذا أنني في غيبوبة عميقة ، أمام ذلك الوغد ؟!

ابتسم (محمود) ، قائلاً :

ـ المشكلة أنه ليس وغدًا يا صديقي .. إنه رجل أمن مثلك ، في مهمة رسمية ، من أجل عالمه .

قال (نور) :

ـ ولكنه هاجم الجميع .

قال (محمود) في هدوء :

ـ كنتم تهددون مهمته بالفشل .

تساءل (نور) بمنتهى الاهتمام :

ـ وما مهمته بالضبط ؟!

عقد (محمود) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ ولماذا لا تعرف بنفسك ؟!

سأله (نور) :

ـ وكيف هذا ، وعقلي ينطلق بعيدًا ؟!

هزّ (محمود) كتفيه ، قائلاً :

- أنت تتمتع بإرادة قوية يا (نور) ، ولو أردت ، لأمكنك العودة بعقلك وقتما تشاء ، إلى أية نقطة تريدها .. حتى على خصمك نفسه .

تساءل (نور) في لهفة :

قال (محمود) في هدوء :

- بل يمكنك ما هو أكثر من هذا يا (نور) .

سأله (نور) بكل اهتمام :

- وما هو ؟!

صمت (محمود) بضع لحظات ، قبل أن يسأله :

- هل سمعت عن الذاكرة الوراثية التراكمية يا (نور) ؟!

غمغم (نور) في حذر :

- وما هي ؟!

أجابه (محمود) :

- إنها نظرية علمية ، تقول إننا نرث ذاكرة آبائنا وأجدادنا مع جيناتنا ، وأن أمخاخنا تحوى بالفعل تاريخنا كله ، على نحو وراثى متراكم ، فأنت تورث ذاكرتك لابنك ، وهو يورث ذاكرته لابنه ، وهكذا(*) .

تساءل (نور) في حيرة :

- وبم يمكن أن يفيد هذا ؟!

أجابه (محمود) :

- مشكلة الذاكرة التراكمية ، هي أننا لانعيها بعقولنا ، على الرغم من وجودها داخل أمخاخنا .. الأمر يحتاج دومًا إلى محفز لاستعادتها ، وكثيرًا ما تنطلق شذرات منها ، دون وعى منا .. كأن يتحدث شخص أمامك بلغة تجهلها ، ولكنك تجد نفسك قد فهمت ما يعنيه ، على الرغم من أنك لم تدرس تلك اللغة أبدًا ، أو أن يستعيد المرء فجأة لمحة من ذكريات أحد أجداده ، ويبهر من حوله ، فيتصورون أنها عملية تناسخ أرواح .

(*) نظرية علمية بالفعل .

تساءل (نور) في توتر :

ـ أمن الضروري أن أستمع إلى هذه المقدمة الطويلة ؟!

ابتسم (محمود) ، وهو يقول :

ـ وماذا في هذا ؟!

أجابه بكل توتره :

ـ الوقت يمضي بسرعة يا صديقي ، وأخشى أن نخسر فرصتنا في إيقاف تلك المخلوق ، لو أضعنا المزيد من الوقت .

اتسعت ابتسامة (محمود) ، وهو يقول :

ـ هنا الزمن يساوي صفرًا يا صديقي العزيز ، ومهما قلنا أو تحدثنا ، لن نفقد ثانية واحدة ، من زمن الأرض .

كان أمرًا يعجز أي إنسان عادي عن استيعابه ، ولكن (نور) استوعبه فورًا ، وهو يسأل :

ـ في هذه الحالة ، أريد أن أعرف المزيد .

قال (محمود) :

ـ لم يعد هناك الكثير يا (نور) ؛ فخصمك يجهل ما الذي تحويه ذاكرته التراكمية ، من تاريخ أجداده ، ولكنك تستطيع ، بما تمتلك من طاقة عقلية فائقة الآن ، أن تغوص في أعماق دماغه ، وفي غياهب تاريخه ، و ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، وأضاف :

ـ وأظن هذا سيحل كل شيء .

صمت (نور) بضع لحظات ، ثم قال في ارتياح واضح :

ـ أشكرك يا صديقي .

ابتسم (محمود) ابتسامة حزينة ، وهو يقول :

- لا عليك يا صديقى .. إنها أسعد لحظات حياتى ، تلك التى أشعر فيها أننى قد صرت عضواً فعالاً فى الفريق ..

تطلع إليه (نور) فى صمت ، قبل أن يقول فى حزم :

- قريباً بإذن الله يا صديقى .. قريباً .

مع آخر كلماته ، استنفر إرادته كلها ..

وقدراته العقلية بكاملها ..

وانطلق ..

انطلق بعقله عائداً إلى كوكبه ..

ووطنه ..

ومركز الأبحاث ..

وحجرة الدكتور (سمير) ..

وعقله ..

شعور عجيب ملأ كيانه ، وهو يغوص فى ذلك العقل ..

ويغوص ..

ويغوص ..

ويغوص ..

ثم فجأة ، ظهرت أمامه الصورة واضحة ..

« نيزك ضخم يتجه نحو كوكبنا مباشرة .. »

عبارة نطقها شخص ما ، بلغة غير معروفة على الأرض ..

ولكن (نور) فهمها ..

واستوعبها جيداً ..

كان هناك اجتماع متوتر ..

اجتماع لبحث ذلك الخطر الرهيب ..

الخطر القادم من أعماق الفضاء ..

« لا توجد وسيلة واحدة لمنع الاصطدام .. »

نطق أحد الرجال بالعبارة ، فقال آخر في توتر :

ـ وما مصير كوكبنا ، إذا ما حدث هذا ؟!

توقف الأول ، والتقط نفسًا عميقًا ، بالغ التوتر ، قبل أن يجيب في عصبية :

ـ الفنـاء .

شحبت وجوه المجتمعين ، حول مائدة زجاجية كبيرة ، فكرّر الرجل ، وكأنما يؤكد عبارته الأولى :

ـ الفناء التام .

خيم وجوم تام على الجميع ، حول تلك المائدة الزجاجية ، وتبادلوا نظرات مذعورة ..

مختلفة ..

يائسة ..

بائسة ..

نظرات تحمل مقدمات فناء محتمل ..

ولدقيقة تقريبًا ، ظل الكل صامتًا ، قبل أن يقطع أحدهم ذلك الصمت ، وهو يتساءل في مرارة :

ـ أيعني هذا أن حضارتنا تشهد أيامها الأخيرة ؟!

أومأ المتحدث برأسه إيجابًا ، قبل أن يشد قامته ، مضيفًا في حزم :

ـ هذا صحيح .

وقبل أن يغمر اليأس الوجوه ، استدرك في سرعة :

ـ على كوكبنا .

ارتفعت إليه العيون كلها في لهفة ، فاعتدل ، مكملاً :

ـ لو لم تنفذ خطة الطوارئ (أ) .

هتف أحدهم ، وقد بدأ الأمل يداعبه :

ـ وما خطة الطوارئ (أ) هذه ؟!

أدار المتحدث عينيه فى وجوههم ، مجيبًا :

- إنها خطة سرية للغاية ، تم وضعها منذ بضع سنوات ؛ لإنقاذ طاقم الحكم ، إذا ما حدث غزو فضائى مباغت ، أو انتشر وباء غير متوقع .

حملت العيون ألف تساؤل وتساؤل ، عجزت الألسن عن نطقها ، ففرقع المتحدث سبابته وإبهامه ، لتظلم حجرة الاجتماعات ، ثم يظهر فى منتصف المنضدة شكل هولوجرامى ، لسفينة فضاء ضخمة ، تدور حول نفسها فى بطء ، وكأنما تستعرض إمكانياتها أمام الجميع ، والمتحدث يقول :

- منذ عدة سنوات ، تم بناء هذه السفينة الفضائية ، التى تتسع لمائة راكب ، مع أجهزة إعاشة شديدة التطور ، وإمكانيات رقمية من الطراز الأول ؛ وهدفها هو إنقاذ مائة فرد ، من أفضل عناصر كوكبنا ، لحماية حضارتنا من الفناء ، فى أوقات الخطر الكبرى .. وهناك برنامج يتم تحديثه آليًا كل يوم ؛

لاختيار الشخصيات المائة ، التى ينبغى نقلها عبر ما أسميناه ، خطة الطوارئ (أ) ، أو مشروع إنقاذ الحضارة .

غمغم أحد الحاضرين :

- وما الذى ستفعله السفينة بركابها المائة بالضبط ؟

فرقع المتحدث سبابته وإبهامه مرة أخرى ، فتلاشت الصورة ثلاثية الأبعاد ، وظهرت بدلاً منها خريطة فضائية مجسمة ، وهو يجيب :

- علماؤنا يدرسون الكون ، منذ مئات السنين ، ولقد توصلوا أخيرًا إلى سبعة كواكب ، شبيهة بكوكبنا ، ويمكننا العيش على أى منها ، دون الحاجة إلى أدوات معاونة ، أو وسائل إعاشة معقدة .. ولقد قام العلماء بدراسة الظروف الخاصة بكل كوكب ، حتى وقع الاختيار أخيرًا على واحد منها ، منحناه اسم (البديل) .. وعندما يوضع المختارون داخل السفينة ، سيتم إدخالهم فى حالة من السبات الصناعى مع أسرهم ، حتى يمكنهم احتمال الرحلة ، التى قد تستغرق ألف عام ، مع انطلاقة تقترب من سرعة الضوء ، قبل الوصول إلى (البديل) .

تمتم رجل ، بأنفاس مبهورة :

- ألف عام !! حتى في حالة السبات الصناعي . لا يمكن أن نحيا لألف عام .

وهتف آخر :

- ثم من سيقود السفينة .

أجاب المتحدث في صرامة :

- السفينة تتم قيادتها آليًا . وفق برنامج شديد الدقة ، أما بالنسبة لحياتكم ، فالحالة التي سيتم وضعكم فيها ، أشبه بالتجميد ، الذي سيحفظ لأجسامكم حيويتها ، حتى ولو طال الأمر لألفي عام ، وليس ألفًا واحدًا .

هز ثالث رأسه ، قائلاً في عصبية :

- ما زلت أرى أن احتمالات الخطر قائمة .

استدار إليه المتحدث ، وهو يقول :

- لكم حرية الاختيار التامة بالتأكيد ، فإما الانطلاق في رحلة فضائية ، على قدر كبير من الخطورة ، أو البقاء هنا ؛ لمواجهة موت لا ريب فيه .

تبادل الكل نظرة ملتاعة ، وخيم عليهم صمت أشد رهبة ، قبل أن يتساءل أحدهم في مرارة :

- وما معايير اختيار المائة ؟!

شد المتحدث قامته ، وهو يجيب :

- أعضاء مجلس الحكم وأسرهم في المقدمة ، وبعدهم يأتي علماء في مجالات حيوية مع أسرهم ؛ لبناء مجتمع جديد ، على الكوكب (البديل) ، بعد الهبوط عليه ، ولقد تم صنع المركبة الفضائية ، بحيث يمكن تفكيكها ، وتحويلها إلى مجموعة من المنازل الصغيرة ؛ كنواة لمجتمع جديد ، و ...

تلاشى المشهد بسرعة ، قبل أن يكتمل ..

ثم برز من وسطه مشهد آخر ..

مشهد سفينة الفضاء الهائلة ، وهى تنطلق من كوكب الأرض ..

ثم مشهد ذلك النيزك ..

النيزك الضخم ، الذى هوى على الأرض ..

وانفجر ..

ثم انتشر ..

وانتشر ..

وانتشر ..

حتى أفنى الحياة على الأرض ..

كل أوجه الحياة ..

النبات ..

والحيوان ..

والديناصورات ..

والبشر ..

تقريبًا ..

وبينما تبتعد السفينة ، فى غياهب الفضاء ، كانت النيران على الأرض تنتشر ..

وتفنى ..

وتبيد ..

والسفينة تبتعد ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

وبسرعة ، تلاشى المشهد كله ..

ثم برز مشهد آخر ..

مشهد سفينة الفضاء ، مستقرة على (البديل) ، والسادة المختارون يستيقظون ..

وينهضون ..

ويدركون أن الخطة قد نجحت ..

وأن الحضارة قد استمرت ..

وفي مشاهد متفرقة ، ظهر الستة ، وهم يفككون السفينة ..

ويبنون مجتمعهم الجديد ..

ثم تمضي سنوات ..

وسنوات ..

وقرون ..

وبعدها امتدت مدينة عظيمة على مرمى البصر ، تحت سماء (البديل) ..

مدينة صنعت حضارة رائعة ..

حضارة بدأت من حيث انتهت حضارة أخرى ..

وفجأة انطلقت شهقة ..

وصرخة ..

شهقة من حلق (نور) ..

وصرخة من حلق (سوريز) ..

ثم شعر (نور) أن عقله ينسحب ..

وينسحب ..

وينسحب ..

في قوة هائلة ..

وبلا مقدمات ، وجد نفسه يقف أمام الدكتور (سمير) ، الذي يحدق فيه بذهول مذعور ..

ولدقائق ، لم ينطق أيهما بحرف واحد ..

كلاهما راح يحدق في الآخر ذاهلاً ..

ثم اختفت ملامح الدكتور (سمير) ..

اختفت لتحل محلها ملامح أخرى ..

ملامح بشرية ..

قوية ..

ووسيمة ..

وبكل انفعال الدنيا، تمتم (سويز):

- إذن فأنتم .. أنتم مستقبلنا .

غمغم (نور) مبهوتًا :

- وأنتم ماضينا .

ويا لها من مفارقة، شهدتها تلك اللحظة الفريدة ..

فالقادم من كوكب أكثر تقدمًا، كان يمثل ماضي الكوكب الأقل تقدمًا ..

وسكان الكوكب الأكثر ضعفًا، كانوا مستقبل أجداد الكوكب الأكثر قوة .. وكانت لحظة رهيبة ..

لحظة تساوي التاريخ ..

التاريخ كله .

٨- الختـــام ..

تراجع القائد في مقعده الكبير في اهتمام بالغ، وهو يستمع إلى مسئول الاتصالات العقلية، الذي يسرد عليه تقرير (سويز) الأخير، قبل أن يقول:

- عجبًا! هذا يكمل لغز تاريخنا إذن .. ويفسِّر ذلك التشابه بيننا وبينهم .

والتقط نفسًا عميقًا، قبل أن يضيف:

- إنهم أجدادنا .

قال المسئول في قلق:

- ولكن هذا غير منطقي أيها القائد؛ فوفقًا لما أرسله عميلنا عقليًا؛ فنت الحياة تمامًا على الأرض، بعد أن هجرها الأجداد .

هزَّ القائد رأسه نفيًا، وهو يقول:

- علمنا الأجداد أن الحياة دائمًا ما تجد سبيلاً للاستمرار .. ربما نجا بعضهم فى كهف ما ، أو مكان ما .. المهم أن الحياة قد استمرت ، ليتواصل الأجداد ، ويعيدون بناء عالمهم من الصفر .

مط مسئول الاتصالات شفتيه ، وكأنما لايقنعه هذا المنطق ، ثم قال فى حذر :

- هذا لا يمنع من أنهم يمثلون خطرًا بالنسبة لنا .

سأله القائد فى اهتمام :

- أتظن هذا ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

- إنهم يمثلون خطرًا على بعضهم فماذا عنا .

التقط القائد نفسًا عميقًا آخر ، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، وهو يقول :

- فليكن .

ثم اعتدل ، مضيفًا فى حزم :

- أجر اتصالاً مع (سويز) ، وأبلغه تعليماتى .

وصمت لحظة أخرى ، ليكمل :

- وقواعد مهمته الجديدة .

وأرهف مسئول الاتصالات أذنيه ..

بكل الاهتمام ..

وكل الانتباه ..

* * *

« كل شىء سيتم إصلاحه يا (نور) .. »

نطق (سويز) العبارة ، فى لهجة أقرب إلى الأسف ، وهو يواجه (نور) ، فى مقر الفريق ، داخل المبنى الرئيسى للمخابرات العلمية ، فاعتدل هذا الأخير ، يسأله فى اهتمام :

- ربما يمكنك معاونتنا ، فى إعادة بناء كل ما دمرته ، فى وسائل أمننا ، ولكن ماذا عن رفاقى ؟! ماذا عن زوجتى ، وابنتى ، و(أكرم) ، و(رمزى) ، والسيد (أمجد) .

تنهد (سويز) ، قائلاً :

- لا تقلق .. كل شىء سيتم إصلاحه .. عالمى سيرسل فريقًا من الأطباء ، مع تكنولوجيتنا العلاجية المتطورة ، وسيعودون جميعًا إلى ما كانوا عليه بإذن الله .

أطلت نظرة شك من عينى (نور) ، فابتسم (سويز) معاتبًا ، وهو يقول :

- أعلم ما يمكن أن يدور فى عقل رجل أمن مثلك ، ولكن اطمئن ، وخذها منى كلمة .. نحن لا ننوى خداعكم ، بأى حال من الأحوال .. إنه فريق طبى حقيقى ، وليسوا من الكوماندوز المتخفين .

غمغم (نور) :

- أتعشم هذا !

ابتسم (سويز) ، مغمغمًا :

- اطمئن .

أومأ (نور) برأسه ، وكأنما يحاول هضم الأمر ، وهو يتساءل فى حذر شديد :

- وماذا عنك ؟!

أجابه (سويز) فى سرعة وحزم :

- سأبقى .

لمح ذلك القلق الشديد ، الذى أطل من عينى (نور) ، فضحك ، قائلاً :

- سأبقى باعتبارى سفيرًا رسميًا لكوكبى هنا يا (نور) ، ومهمتى الجديدة هى إذابة الجليد بين الماضى والمستقبل ،

ومعاونتكم على التطور ، والتفوق ، وبناء عالم جديد ..

عالم مختلف .. عالم يمكننا أن نتلاقى فيه ، فى سلام وأمان .

صمت (نور) بضع لحظات ، وهو يتطلّع إليه مباشرة ، قبل أن يسأله على نحو صريح :

ـ هل يمكننا أن نثق بكم ؟!

ابتسم (سويز) ، قائلاً :

ـ وهل يمكننا نحن أن نفعل ؟!

لم يحر (نور) جوابًا ، فشد (سويز) قامته ، وقال ، وكأنه يجيب سؤاله بنفسه :

ـ نحن ماضيكم يا (نور) ، وأنتم مستقبلنا وما من عاقل يتخلى عن ماضيه ، أو يحارب مستقبله ..

قالها ، وعاد يبتسم ، ويمد يده إليه ، مضيفًا :

ـ اطمئن .

وفى هذه المرة لم يتردد (نور) ..

لقد مد يده بدوره ..

وتصافحا ..

تصافحا ؛ لضم الماضى إلى المستقبل ، والانطلاق بهما معًا إلى آفاق جديدة ..

آفاق بلا حدود ..

* * *

(تمت بحمد الله)